الجامعة الاردنية
كلية الدراسات العليا

البيان القرآني عند الرُّمّاني والخَطّابيّ

عميد كلية الدراسات العليا

إعداد
أسامة حسين محمود بريقع

إشراف الأستاذ الدكتور
محمد بركات حمدي أبو علي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها
بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية .

رمضان / ١٤١٥ هـ
شباط / ١٩٩٥ م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٢٧ / ٢ / ١٩٩٥م وأجيزت .....

أعضاء اللجنة: **التوقيع**

١- الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي (رئيساً ومشرفاً) .....

٢- الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم (عضواً) .....

٣- الدكتورة عصمة عبدالله غوشة (عضواً) .....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشكر والتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي لتفضله بالإشراف على هذه الرسالة، وإلى عضوي لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم، والدكتورة عصمة غوشة.

وأتقدم بالشكر إلى جميع الزملاء الذين قدموا يد العون والمساعدة لي في هذا البحث، وأخص بالذكر السيد محمد صبحي أسعد.

وأخيراً فإني أشكر كل من كان له فضل المساعدة في إخراج هذه الرسالة بثوبها الحالي وأخص بالذكر الأخوة القائمين على مؤسسة الزرقاء لخدمات الكمبيوتر الذين تفضلوا بطباعة هذه الرسالة فجزاهم الله خير الجزاء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتوى

العنوان	رقم الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	جـ
الشكر	د
المحتوى	هـ
الملخص بالعربية	و
الفصل الأول	
المقدمة	٢
الإطار البلاغي للقرن الرابع الهجري	٥
- قدامة بن جعفر	٥
- الآمدي	١٤
- الرماني	٢٠
- الخطابي	٣٢
- القاضي الجرجاني	٣٧
الفصل الثاني	
اتجاهات البيان القرآني في رسالتي الرماني والخطابي	٤٩
- طُريقة الأدباء	٤٩
- طريقة المتكلمين	٤٩
- اتجاه البيان القرآني في رسالة الرماني	٥٠
- اتجاه البيان القرآني في رسالة الخطابي	٦٢
الفصل الثالث	
- أثر الرحالتين في كتاب «الصناعتين»	٧٥
- أثر الصناعتين في بلاغة القرن الرابع الهجري	٧٥
- أثر الرماني والخطابي في كتاب «الصناعتين»	٨٨
الخاتمة	١٠٥
المصادر والمراجع	١١٢
الملخص بالانجليزية	١١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخّص

البيان القرآني عند الرمّاني والخطّابي

إعداد

أسامة حسين محمود بريقع

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق هدفين هما: تقديم صورة حول البيان القرآني عند الرمّاني والخطابي، وبيان أثر هذين الرّجالتين في كتاب «الصناعتين» لأبي هلال العسكري.

وقد قامت خطة هذه الدراسة على المنهج التكاملي بوصفه يمكنني من الإفادة من مختلف المناهج. وتتكون الدراسة من مقدمة وثلاثة فصول، تناولت في الفصل الأول الحديث عن الإطار البلاغي للقرن الرابع الهجري، وذلك من خلال مجموعة من الأعلام الذين كان لهم الأثر البيّن في تكوين الإطار البلاغي لذلك القرن.

وفي الفصل الثاني عرضت لاتجاهات البيان القرآني في رسالتّي الرماني والخطابي، فتحدثت عن الطريقتين اللتين أثّرتا في البحث البلاغي وهما: طريقة المتكلمين، وطريقة الأدباء، ثم بيّنت مدى تأثر الرسالتين بهاتين الطريقتين من خلال استقصاء الأمثلة والشواهد الموضحة لذلك التأثّر.

وقد خصصت الفصل الثالث لبيان أثر كل من الرمّاني والخطّابي في كتاب «الصناعتين»، حيث بدأت الحديث فيه عن أثر كتاب «الصناعتين» في بلورة الإطار البلاغي للقرن الرابع الهجري، ومن ثم بيّنت أثر كلّ من الرمّاني والخطّابي في كتاب «الصناعتين»، وتوصّلت إلى أنّ الرمّاني كان تأثيره أكثر وضوحاً من الخطّابي، وذلك لأنه فصّل الحديث عن البلاغة في رسالته بخلاف ما ورد عند الخطّابي الذي تناول البلاغة في رسالته باعتبارها وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني حيث لم تكن مقصودة لذاتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

الإطار البلاغي للقرن الرابع الهجري

(المقدمة)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

الإطار البلاغي للقرن الرابع الهجري

المقدمة :

اهتمَّ عدد غير قليل من الباحثين في دراسة البيان القرآني[1] كما سيورد تالياً وذلك في محاولات منهم لاستقصاء جوانبه الدقيقة والمتنوعة، مما أغنى المكتبة البلاغية بالعديد من الدراسات البلاغية القرآنية.

وهذا أمرٌ مألوف ومتوقع، إذْ إن مركز الدراسة يدور حول كتاب من صنع الله -عز وجل- لا من صنع البشر، وهو مليء بالأسرار التي تتكشّف مع كلِّ دراسة جديدة له. مما دفع الباحثين إلى الإسهاب في البحث في ذلك الكتاب.

وهذه الدراسة محاولة تنضاف إلى ما سبقها، مع أنّها تختلف عن غيرها في أنّ دارسي البلاغة تناولوا موضوع البيان القرآني ضمن المسيرة التاريخيّة للبلاغة العربيّة حتى العصر الحاضر، منهم الدكتور بدوي طبانة في كتابه (البيان العربي). والدكتور إحسان عباس في كتابه (تاريخ النقد الأدبي عند العرب)، وهي دراسات ضمن الإطار التاريخي للبلاغة والنقد، أمّا دراستنا فستختصُّ بِعَلَمَيْنِ، هما الرمّاني والخطّابي وبرسالتيهما في الإعجاز القرآني.

ولهذا كان لا بدَّ من قيام هذه الدراسة لتسليط الضوء على جهود كلٍّ من الرماني والخطابي في درْس البيان القرآني.

وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة، وثلاثة فصول.

---

(١) البيان علمٌ يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه ويشمل التشبيه، و المجاز بأنواعه، والكناية، وقد وصفته بالقرآني لاقتصار دراسة الرماني والخطابي له في القرآن الكريم دون غيره./ انظر تعريف البيان: معجم المصطلحات البلاغية للدكتور أحمد مطلوب: ج١، ١٩٨٣، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ص ٤٠٦ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

درست في الفصل الأول بصورة مطوّلة الإطار البلاغي للقرن الرابع الهجري من خلال مجموعة من الأعلام الذين كان لهم الأثر الواضح في تشكيل الإطار البلاغي للقرن المذكور، وهؤلاء الأعلام هم:

* قدامة بن جعفر. (ت٣٣٧هـ). صاحب «نقد الشعر» و «نقد النثر».
* الآمدي (ت ٣٧٠هـ). صاحب «الموازنة».
* علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٧هـ). صاحب رسالة «النكت في إعجاز القرآن».
* حمد بن محمد الخطابي (٣٨٨هـ). صاحب رسالة: «بيان إعجاز القرآن»
* علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت٣٩٢هـ). صاحب «الوساطة»
* أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ). صاحب «الصناعتين».

وقد أرجأت الكلام عن أثر العسكري في تكوين الإطار البلاغي للقرن الرابع الهجري إلى الفصل الثالث تجنباً للتكرار.

وجاء الفصل الثاني عَرْضاً (لاتجاهات البيان القرآني في رسالتي الرماني والخطّابي) فتحدثت عن المدرستين أو الطريقتين اللتين أثّرتا في البحث البلاغي، وهما:

- طريقة المتكلمين. - طريقة الأدباء.

ثم بينت مدى تأثر الرسالتين بهاتين الطريقتين وذلك باستقصاء الأمثلة والشواهد الموضِّحة لذلك التأثر.

وقد خصصت الفصل الثالث، لبيان (أثر الرُّمّالتين في كتاب الصناعتين).

وقد بدأت الحديث فيه عن أثر كتاب الصناعتين في بلورة الإطار البلاغي للقرن الرابع الهجري، حتى تكتمل صورة البلاغة لذلك القرن، التي عرضت لها في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول من هذه الدراسة.

ثم تناولت أثر الرماني والخطابي في كتاب الصناعتين معتمداً على استقصاء الأمثلة الموضِّحة لذلك التأثّر ومن ثم تحليلها.

ومن التقسيم السابق للفصول نلاحظ بأنّ الفصل الأوّل كان بمثابة القاعدة التي ينطلق منها الفصل الثاني والثالث، في حين كان الفصل الثاني بمثابة مقدمة وتمهيد للفصل الثالث، هذا ما تطلبته طبيعة هذا البحث، وقد أشار عليّ بذلك أُستاذي المشرف فكان لِزاماً عليّ الاعتراف بفضله، وسداد رأيه، وحسن تقديره.

وقد اعتمدت في دراستي على المنهج التكاملي؛ بوصفه يمكنني من الإفادة من مختلف المناهج.

وأمّا مصادر الدراسة فقد تنوعت، وتوزّعت بين القديم والحديث، فأفادت مما كتبه القدماء من أمثال الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، وقدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ)، والآمدي (ت٣٧٠هـ)، والقاضي الجرجاني (ت٣٩٢هـ)، وقد أفادت أيضاً مما كتبه كثير من المحدثين.

ومن المراجع الحديثة التي أفدت منها كتاب (في إعجاز القرآن الكريم) لمؤلفه الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي، وكتاب (تاريخ البلاغة العربية) للدكتور عبد العزيز عتيق، وكتاب (البلاغة تطور وتاريخ) للدكتور شوقي ضيف، ومن ثم كتاب (أثر القرآن في تطور النقد العربي) للدكتور محمد زغلول سلام، وكتاب (البيان العربي) للدكتور بدوي طبانة.

والله تعالى أسأله أن أكون قد وفّقت فيما قصدت إليه، فإن أصبت فبنعمة من الله وفضل، وإلا فحسبي نصيب المجتهد وأجره، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد وجد في هذا القرن العديد من الأدباء الذين أسهموا في بلورة الإطار البلاغي للقرن الرابع الهجري، إذ أسهموا في تطوير البلاغة وبلورة كثير من مصطلحاتها ومباحثها، والإضافة إليها، وكان ذلك مادة خصبة بنى عليها العلماء من بعد، وأفادوا منها في بحوثهم البلاغية، وحتى نقف على الإطار البلاغي لهذا القرن لا بد أن نعرض لجهود البلاغيين والأدباء، وإسهاماتهم في تطوير البلاغة في هذا القرن، ومن أبرزهم:

١- قدامة بن جعفر صاحب «نقد الشعر»، و «نقد النثر».
٢- الآمدي صاحب «الموازنة».
٣- الرماني صاحب رسالة «النكت في إعجاز القرآن».
٤- الخطابي صاحب رسالة «بيان إعجاز القرآن».
٥- علي بن عبدالعزيز الجرجاني صاحب «الوساطة».
٦- أبو هلال العسكري صاحب «الصناعتين».

وسأقف في هذا الفصل على جهودهم جميعا باستثناء أبي هلال العسكري، الذي سيتضح دوره في بلاغة القرن الرابع من خلال تناولي إيّاه في الفصل الثالث من هذا البحث.

* **قدامة بن جعفر وكتاباه نقد الشعر ونقد النثر:**

هو أبو الفرج جعفر بن قدامة بن زياد، وقد عرف بالكاتب البغدادي، واشتهر بثقافته الواسعة، إذ برع في اللغة والأدب، والفقه والكلام، والفلسفة، والحساب، كما تأثر بالثقافات العربية والفارسية واليونانية والهندية.[١]

والذي يعنينا من مصنفاته كتاب «نقد الشعر» وكتاب «نقد النثر»، وقد جاء كتاب «نقد الشعر» في ثلاثة فصول، إذ تناول في الفصل الأول منه تعريف الشعر، ومقدمات حول المعاني التي يتكلم فيها الشاعر، ثم بيان أجزاء الشعر.

وفي الفصل الثاني تناول نعوت الجودة في الشعر، وأما الفصل الثالث فقد جعله لعيوب الشعر ورداءته.[٢]

إنّ الناظر لكتاب «نقد الشعر» يلاحظ أن مؤلفه قد تأثر فيه بالفلسفة اليونانية، وخاصة كتاب «الشعر» لأرسطو، لذلك أمكن تصنيف كتابه تحت باب

(١) انظر ترجمته: «معجم الأدباء»: ياقوت الحموي، تحقيق د. إحسان عباس، مطبعة دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، بيروت، ج١٧، ص١٢١.

(٢) انظر «نقد الشعر»، قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦٣م، ص٥ ض١٦، ص١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصنفات البلاغية القائمة على أسس فلسفية، إذ يستهل الفصل الأول على هذا النحو:

«إن أول ما يحتاج إليه في العبارة في هذا الفن معرفة حد الشعر المائز له عمّا ليس بشعر، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغ ولا أوجز مع تمام الدلالة من أن يقال فيه إنه قول موزون مقفًى يدل على معنى، فقولنا «قول» دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر، وقولنا: موزون يفصله مما ليس بموزون، إذ كان من القول موزون وغير موزون، وقولنا: مقفًى، فصل بين ماله من الكلام الموزون قواف، وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع، وقولنا: يدل على معنى يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالته على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى، فإنه لو أراد مريد أن يعمل من ذلك شيئا كثيرا على هذه الجهة لأمكنه وما تعذر عليه»[١]

ويعلق الدكتور شوقي ضيف في كتابه البلاغة تطور وتاريخ، على هذا الاستهلال بقوله: « واضح أنه يستمد مباشرة من منطق أرسطو وما ذكره عن الحدود والتعريفات وأجزائها التي تتكون منها، إذ تتكون من جنس وفواصل تصور جوهر ما تعرفه وعناصره التي تؤلفه»[٢]

إذا عدنا إلى مقدمة كل من كتابيه «نقد الشعر» و «نقد النثر» نراه يبين السبب الذي دفعه إلى التأليف، ففي مقدمة كتابه «نقد الشعر» يقول: «... العلم بالشعر ينقسم أقساما، فقسم ينسب إلى علم عروضه ووزنه، وقسم ينسب إلى علم قوافيه ومقاطعه، وقسم ينسب إلى غريبه ولغته، وقسم ينسب إلى علم معانيه والمقصد به، وقسم ينسب إلى علم جيده ورديئه».[٣]

ويرى قدامة أن القسم الأول وما يليه إلى الرابع نال عناية واهتمام الناس، إذ وضعوا الكتب فيها، وأما القسم الأخير فلم يجد أحدا وضع فيه كتاباً. مع أنه من أهم الأقسام التي تنقد الشعر وتخلص جيده من رديئه حيث يقول:

«ولما وجدت الأمر على ذلك، وتبينت أن الكلام في هذا الأمر أخص بالشعر من سائر الآخر، وأن الناس قد قصّروا في وضع كتاب فيه، رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع».[٤]

---

(١) «نقد الشعر»، ص١٥.

(٢) «البلاغة تطور وتاريخ»، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ص٨٠.

(٣) «نقد الشعر»، ص١٣.

(٤) المصدر السابق، ص١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«قدامة إذن أراد بتأليف هذا الكتاب الذي قصره على علم جيد الشعر ورديئه أن يستكمل النقد الأدبي أهم أدواته ليستوي علما قائما بذاته».[١]

وأما عن سبب تأليفه لكتابه «نقد النثر»[٢] كما يصرح في المقدمة، فيعود إلى صديق له وقف على كتاب الجاحظ «البيان والتبيين» ووجده إنما ذكر أخبارا مختارة وخطبا منتخبة، ولم يأت فيه بوصف البيان، ولا أتى على أقسامه في هذا اللسان.

ولهذا سأله الصديق أن يذكر له جملا من أقسام البيان آتية على أكثر أصوله، وباختصار حتى لا يطول الكتاب فيدعو إلى الإملال.

ومن ذلك نلاحظ أنه وضعه على سبيل المعارضة لكتاب «البيان والتبيين» للجاحظ، وإن كان قد صرّح بأنه كان مدفوعاً إلى تأليفه باقتراح صديق عليه.

وقد وصف قدامة مضمون كتابه بقوله: (نقد النثر)

«... وقد ذكرت في كتابي هذا جملا من أقسام البيان، وفقرا من آداب حكماء أهل هذا اللسان، لم أسبق المتقدمين إليها، ولكني شرحت في بعض قولي ما أجملوه، واختصرت في بعض ذلك ما أطالوه، وأوضحت في كثير منه ما أوعروه، وجمعت في مواضع منه ما فرّقوه، ليخف بالاختصار حفظه، ويقرب بالجمع والايضاح فهمه».[٣]

من كل ما تقدم يتضح أن قدامة قد أراد بوضع كتابيه «نقد الشعر» و «نقد النثر» أن يستكمل نقصا ارتآه في بناء النقد الأدبي ليستوي علما قائما بذاته.[٤]

ومع أن عرض قدامة لكثير من القضايا البلاغية لم تكن غاية في حد ذاتها، بل وسيلة يستعين بها على توضيح وتفسير منهجه في نقد الشعر والنثر، فقد أسهم في تطوير البلاغة وبلورة كثير من مصطلحاتها ومباحثها والإضافة إليها[٥] ويمكن تبين ذلك من خلال ما يلي:

مفهوم البلاغة عنده:

إذا ما نظرنا في كتب القدماء مثل الجاحظ، نجد أنهم لم يعرفوا البلاغة

---

(١) «تاريخ البلاغة العربية»، عبدالعزيز عتيق، ص١٤٤، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٩٧٠.

(٢) انظر «نقد النثر»: ص٣ وما بعدها.

(٣) «نقد النثر»، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠، قدامة بن جعفر، ص٥.

(٤) انظر: «تاريخ البلاغة العربية»، ص١٤٤.

(٥) انظر: «تاريخ البلاغة»، عبدالعزيز عتيق، ص١٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعريفا مانعا جامعا، إذ ذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين تعريفات كثيرة للبلاغة عند العرب وغيرهم.[١]

وفسرها عمرو بن عبيد(ت١٤٤هـ) في أول الأمر تفسيرا دينيا ثم قال:

«فكأنك تريد تخير اللفظ في حسن الافهام: وقال: (إنك إذا أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين وتخفيف المؤونة على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان رغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة. كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستحققت على الله جزيل الثواب).[٢]

واكتفى الجاحظ بذكر قول بعضهم وهو من أحسن ما اجتباه ودوّنه: «لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه. فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك».[٣]

لذلك يقول قدامة في كتابه نقد النثر: «وقد ذكر الناس البلاغة ووصفوها بأوصاف لم تشتمل على حدها، وذكر الجاحظ كثيرا مما وصفت به، وكل وصف منها يقصر عن الإحاطة بحدها».[٤]

وهكذا نرى أن قدامة لم يجد في تصانيف من سبقه تعريفا مانعا جامعا للبلاغة، ثم نراه يعرف البلاغة بقوله: «... وحَدُّها عندنا أنه القول المحيط بالمعنى المقصود، مع اختيار الكلام، وحسن النظام، وفصاحة اللسان. وإنما اضفنا إلى الإحاطة بالمعنى اختيار الكلام، لأن العاميّ قد يحيط قوله بمعناه الذي يريده إلا أنه بكلام مرذول من كلام أمثاله، فلا يكون موصوفا بالبلاغة. وزدنا فصاحة اللسان، لأن الأعجمي واللّحان قد يبلغان مرادهما بقولهما، فلا يكونان موصوفين بالبلاغة. وزدنا حسن النظام لأنه قد يتكلم الفصيح بالكلام الحسن الآتي على المعنى، ولا يحسن ترتيب ألفاظه وتصيير كل واحدة منها مع ما يشاكلها؛ فلا يقع

---

(١) انظر: «البيان والتبيين»، تحقيق وشرح، عبدالسلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، مصر، الجاحظ، ج١، ص٨٨.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص١١٤، عيون الأخبار: ابن قتيبة، المجلد الثاني، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٨، ص١٧١، «معجم المصطلحات البلاغية»: ص٤٠٣.

(٣) «البيان والتبيين»، ج١، ص٨٨، «معجم المصطلحات البلاغية وتطورها»، أحمد مطلوب، ص٤٠٣.

(٤) «نقد النثر»، قدامة بن جعفر، ص٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك موقعه. فما أتى في نهاية النظم قول أمير المؤمنين رضي الله عنه في بعض خطبه: «أين من سعى واجتهد، وجمع وعدد، وزخرف ونجّد، وبنى وشيد؟» فأتبع كل حرف بما هو من جنسه وما يحسن معه نظمه. ولم يقل: أين من سعى ونجد، وزخرف وشيد، وبنى وعدد؟ ولو قال كذلك لكان كلاما مفهوما ومن قائله مستقيما، وكان مع ذلك فاسد النظم قبيح التأليف».[١]

ومن اتجاهات قدامة في البلاغة أيضا كلامه في صفات الألفاظ ومقاييس استحسانها واستهجانها والحوشي منها والغريب.

«وأما سهولة القول وقلة التكلف فكقول الآخر:

خير المذاهب في الحاجات أنجحها وأضيق الأمر أدناه من الفرج

فهذا لفظ سهل قريب قد جرى فيه صاحبه على سجيته وعادته؛ فإذا جئت إلى قول الآخر:

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه

وجدته قد تَكلّف تكلفا غير خفي على سامعه، فالقلوب له آبية، والآذان عنه نابية».[٢]

وكل ذلك يدخل في باب الفصاحة الذي يجعله البلاغيون مقدمة لدراساتهم البلاغية.

في علم المعاني:

من المباحث التي عرض لها قدامة في علم المعاني:

١) التتميم:

«وهو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئا إلا أتى به».[٣]

٢) الإيغال:

«وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما من غير أن يكون للقافية فيما ذكره صنعا، ثم يأتي بها لحاجة الشعر فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره من المعنى في البيت».[٤]

٤٤٦٥٧٢

٣) المساواة:

---

(١) «نقد النثر»، قدامة بن جعفر، ص٧٦-٧٧.

(٢) المصدر السابق، ص٨٧.

(٣) «نقد الشعر»، ص١٥٧.

(٤) المصدر السابق، ص١٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عدّها قدامة من أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى، وعرفها بأن يكون اللفظ مساويا للمعنى، حتى لا يزيد عليه ولا ينقص.[١]

٤) الإشارة:

وقد عدّها كذلك من أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى، وعرفها بأن يكون اللفظ قليلا مشتملا على معان كثيرة بإيحاء إليها أو لمحة تدل عليها.[٢] وذلك ما يعرف عند البلاغيين «بإيجاز القصر».[٣]

ومن القضايا البلاغية التي عرض لها قدامة في كتابه «نقد النثر» والتي صارت فيما بعد من مباحث علم المعاني حديثه عن الخبر وأضربه وتقسيمه إياه إلى يقين وتصديق، ثم يفصل في هذين القسمين فيقول:

«فاليقين ينقسم إلى ثلاثة أقسام، أحدها خبر الاستفاضة والتواتر الذي يأتي على ألسن الجماعة المتباينة هممهم وإرادتهم وبلدانهم، ولا يجوز أن يتلاقوا فيه ويتواطأوا عليه، فذلك يقين يلزم العقل الإقرار بصحته، ... والثاني خبر الرسل عليهم السلام، ومن جهر من الأئمة الذين قامت البراهين والحجج من العقل عند ذوي العقول على صدقهم وعصمتهم... والثالث ما تواترت أخبار الخاصة به مما لم تشهده العامة، فإن تواترهم في ذلك نظير تواتر العامة.

... وأما خبر «التصديق» فهو الخبر الذي يأتي به الرجل والرجلان والأكثر فيما لا يوصل إلى معرفته من القياس والتواتر ولا أخبار المعصومين، ولا يعلم إلا من جهة الآحاد...».[٤]

وقد تكلم في «نقد النثر» عن القطع والعطف، فيقول:

«فما قطع الكلام فيه وأخذ في فن آخر من القول ثم عطف عليه بتمام القول الأول... ومثل ذلك ما حكاه عن لقمان في وصيته لابنه إذ قال له: «يا بني لا تشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم»[٥] ثم قطع وأخذ في فن آخر فقال: «ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن»[٦]، إلى قوله: «فأنبئكم بما كنتم

---

(١) انظر: «نقد الشعر»، ص١٧١.

(٢) انظر المصدر السابق، ص١١٠.

(٣) انظر «معجم المصطلحات البلاغية»، ص٣٦١.

(٤) «نقد النثر»، ص٢٨-٣٠.

(٥) سورة لقمان، الآية ١٣. / انظر: «نقد النثر»: ص٧٣.

(٦) سورة لقمان، الآية ١٤. / انظر: «نقد النثر»: ص٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعملون»[١]، ثم رجع إلى تمام القول الأول في وصيّة لقمان فقال: «يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير»[٢] إلى آخر الآيات.[٣]

وقد عرف القطع والعطف عند البلاغيين فيما بعد بـ «الفصل والوصل»[٤] كما تكلّم قدامة في كتابه عن التقديم والتأخير[٥] والحذف الذي تستعمله العرب للإيجاز[٦] وكل ذلك صار فيما بعد من مباحث علم المعاني.

في علم البيان:

وقد عرض قدامة في هذا الباب لمباحث منها:

١) التشبيه:

وقد تناوله قدامة في كتابيه «نقد الشعر» و «نقد النثر»، وقد أخذ فيه عن علماء سبقوه إليه منهم الجاحظ والمبرد وابن المعتز، كما بسط فيه البلاغيون الذين جاءوا بعده، إذ توسعوا في أنواعه.[٧]

٢) الاستعارة:

وقد توسع قدامة في الحديث عنها في كتابه «نقد النثر»[٨] فذكر السبب في احتياج العرب إليها في كلامهم، ثم أوضح مفهومها بالأمثلة، وعد منها انطاق الربع وكل مالا ينطق، إذ ظهر من حاله ما يشاكل النطق، ومثل لهذا النوع بقوله تعالى: «يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد»[٩] فهذا النوع من الاستعارة هو ما أُطلِقَ عليه فيما بعد اسم «الاستعارة المكنية».[١٠]

---

(١) سورة لقمان، الآية ١٥. / انظر: «نقد النثر»: ص٧٣.

(٢) سورة لقمان، الآية١٦. / انظر: «نقد النثر»: ص٧٣.

(٣) «نقد النثر»، ص٧٢-٧٣.

(٤) «تاريخ البلاغة العربية»، ص١٤٩، انظر «نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز»: فخر الدين الرازي (ت٦٠٦)؛ تحقيق وتقديم د. إبراهيم السامرائي، د. محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر، عمان، ص١٦٣.

(٥) انظر «نقد النثر»، ص٧٣.

(٦) المصدر السابق، ص٦٩.

(٧) انظر المصدر السابق، ص٥٨.

(٨) انظر المصدر السابق، ص٦٤.

(٩) سورة ق، الآية ٣٠.

(١٠) انظر في تعريفات الاستعارة المكنية «معجم المصطلحات البلاغية»، ص١٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣) الكناية والتعريض:

وقد تناولها قدامة في كتابه «نقد النثر» تحت اسم «اللحن» وعدها شيئا واحدا وعرفه بقوله: «وأما اللحن فهو التعريض بالشيء عن غيره من غير تصريح أو الكناية عنه بغيره، كما قال الله عز وجل: «ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم، ولتعرفنهم في لحن[١] القول»[٢]، «ثم ذكر أن العرب تستعمل التعريض لأغراض منها التعظيم أو التخفيف أو الاستحياء أو البقيا أو الإنصاف أو الاحتراس، وقد فصل القول عن كل هذه الأغراض مع التمثيل لها. وكذلك تكلم عن بعض أساليب أخرى كالرمز[٣] والوحي[٤] بمعنى الإيحاء والإرداف.

في علم البديع:

لقد تناول قدامة في كتابه «نقد النثر» علم البديع بطريقة غير مباشرة من خلال حديثه عن الشعر جيده ورديئه، وما ينبغي على الشاعر أن يحيط به من ثقافة قبل أن يتعرض لقول الشعر، وقد عد فنونه من نعوت الحسن في المعنى أو اللفظ، ويكون بها الشعر فائقا، فيقول: «... والذي يسمى النظم، وجزالة اللفظ، واعتدال الوزن، وإصابة التشبيه، وجودة التفضيل، وقلة التكلف، والمشاكلة في المطابقة... وأما صحة المقابلة فمثل قول الشاعر:

أميل مع الذمام على ابن عمي وأحمل للصديق على الشقيق
وأخرق بين معروفي ومني وأجمع بين مالي والحقوق

فأحسن القسمة في المقابلات، ومال مع من ينبغي أن يمال معه، وحمل على من يحسن الحمل عليه، وفرق بين ما ينبغي أن يفرقه، وجمع بين ما ينبغي أن يجمعه...»[٥] «ومن المبالغة في المعنى قول الشاعر:

وفيهن ملهى للطيف ومنظر أنيق لعين الناظر المتوسم

فلم يرض أن يكون فيهن ملهى وإن كان ذلك مدحا لهن حتى قال: «للطيف»، لأن الطَّيْفَ لا يلهو إلا بفائق؛ وقال: «ومنظر أنيق»، وهذا في الوصف مجزئ، فلم يكتف به حتى قال: «لعين الناظر المتوسم»، لأن الناظر إذا كرر نظره وتوسم تبينت له العيوب عند توسمه وتكراره نظره، ولذلك قال الشاعر:

---

(١) سورة محمد، الآية ٣٠. / «انظر نقد النثر»: ص٥٩.
(٢) «نقد النثر»، ص٥٩.
(٣) المصدر السابق، ص٦١.
(٤) المصدر السابق، ص٦٣.
(٥) المصدر السابق، ص٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا

ومن هذا المعنى قول الشاعر ايضا:

فلما صرح الشر فأمسى وهو عريان

مشينا مشية الليث غدا والليث غضبان

فلم يرض بتصريح الشر حتى عراه من كل ما يستره، ولم يرض بمشية الليث حتى جعله غضبان، وأشباه هذا كثير في القرآن».[١]

وأما الالتفات فلم يكن واضحا عند قدامة وضوحه عند المتقدمين، إذ تحدث عنه قدامة في نعوت المعاني وقال: «هو أن يكون الشاعر آخذا في معنى فكأنه يعترضه إما شك أو ظن بأن رادا يرد عليه قوله أو سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعا على ما قدمه، فإما أن يؤكده أو يذكر سببه أو يحل الشك فيه»[٢] وهذا هو الاعتراض أو الرجوع، وقد عده العسكري النوع الثاني من الالتفات. فيقول العسكري: «والضرب الآخر أن يكون الشاعر آخذا في معنى، وكأنه يعترضه شك أو ظن أن رادا يرد قوله، أو سائلا يسأله عن سببه، فيعود راجعا إلى ما قدمه، فإما أن يؤكده، أو يذكر سببه، أو يزيل الشك عنه، ومثاله قول المعطل الهذلي:

تبين صلاة الحرب منا ومنهم إذا ما التقينا والمسالم بادن

فقوله: «والمسالم بادن» رجوع من المعنى الذي قدمه، حتى بين أن علامة صلاة الحرب من غيرهم أن المسالم بادن، والمحارب ضامر...».[٣]

وقد سماه قدامة في كتابه «نقد النثر» بـ «الصرف»[٤] فيقول: «وأما الصرف فإنهم يصرفون القول من المخاطب إلى الغائب، ومن الواحد إلى الجماعة، كقوله عز وجل: «حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة[٥]»[٦] «فالمخاطبة كانت

---

(١) «نقد النثر»، ص٧١.

(٢) «نقد الشعر»، ص١٦٧.

(٣) كتاب «الصناعتين»: لأبي هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ١٩٨٦، ص٣٩٢-٣٩٣، وهذا مثال على أثر قدامة في كتاب «الصناعتين».

(٤) سماه بذلك أيضا ابن وهب في «البرهان في وجوه البيان»، ص١٥٢، انظر معجم المصطلحات البلاغية، ص٢٩٦.

(٥) سورة يونس، الآية ٢٢، / انظر «نقد النثر»، ص٧٠.

(٦) «نقد النثر»، ص٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للأمة ثم انصرفت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- إخبارا عنهم»[١] «وكقول الشاعر:

وتلك التي لا وصل إلا وصالها ولا صرم إلا ما صرمت يصير

وقال آخر:

يا لهف نفسي كانت جدة خاله وبياض وجهك للتراب الأعفر»[٢]

«والمحسنات البديعية التي عرض لها قدامة في تضاعيف كتابيه بلغت أربعة عشر محسنا بديعيا. وهذه هي: الترصيع، الغلو، وصحة التقسيم، وصحة المقابلات، وصحة التفسير، وصحة التتميم، والمبالغة، والإشارة، والإرداف، والتمثيل، والتكافؤ، والتوشيح، والتصريع، والالتفات.

ومن هذه المحسنات ما التقى فيها قدامة مع ابن المعتز مع اختلاف في التسمية الاصطلاحية فقط. فالتتميم، والتكافؤ، والتوشيح عنده هي عند ابن المعتز على التوالي: الاعتراض، والطباق، ورد إعجاز الكلام على ما تقدمها. وهناك محسنان يلتقيان فيهما ويتفقان على تسميتهما وهما : المبالغة والالتفات، وإن كان قدامة قد خص الأخير بشق واحد من شقي «الالتفات» عند ابن المعتز.

وإذا كان الاثنان قد التقيا في خمس محسنات بديعية مع اختلاف في تسمية بعضها واتفاق في تسمية البعض الآخر، فإن قدامة يكون في الواقع قد اهتدى إلى تسعة أنواع جديدة من أنواع البديع هي: الترصيع، والغلو، وصحة التقسيم، وصحة المقابلات، وصحة التفسير، والإشارة، والإرداف، والتمثيل، والتصريع».[٣]

ومما سبق يتبين لنا أن قدامة قد أسهم بجهوده القيمة في بلورة الإطار البلاغي للقرن الرابع الهجري من خلال كتابيه نقد الشعر و نقد النثر اللذين قاما على أسس نقدية فلسفية.

٢- الحسن بن بشر الآمدي وكتابه الموازنة:

«أبو القاسم، صاحب كتاب الموازنة بين الطائيين، كان حسن الفهم، جيد الدراية، والرواية، سريع الإدراك... وقال ابن النديم في الفهرست الذي ألفه سنة سبع وسبعين وثلاثمائة: هو من أهل البصرة، قريب العهد، وأحسبه يحيا إلى الآن، ثم وجدت كتاب القوافي للمبرد بخط أبي المنصور الجواليقي ذكر في إسناده: أن عبدالصمد بن حُنَيش النحوي قرأه على أبي القاسم الآمدي في سنة إحدى وسبعين

(١) «معجم المصطلحات البلاغية»، ص٢٩٦.

(٢) «نقد النثر»، ص٧٠.

(٣) «تاريخ البلاغة العربية»، ص١٥١-١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثلاثمائة، وفي تاريخ هلال بن المحسِّن في هذه السنة، يعني في سنة سبعين مات الحسن بن بشر الآمدي بالبصرة.

... ولأبي القاسم تصانيف كثيرة جيدة مرغوب فيها. منها: كتاب الموازنة بين البحتري وأبي تمام في عشرة أجزاء، وهو كتاب حسن، وإن كان قد عيب عليه في مواضع منه، ونسب إلى الميل مع البحتري فيما أورده، والتعصب على أبي تمام فيما ذكره...

... وله أيضا كتاب الخاص والمشترك، تكلم فيه على الفرق بين الألفاظ والمعاني التي تشترك العرب فيها، ولا ينسب مستعملها إلى السرقة، وإن كان قد سبق إليها. وبين الخاص الذي ابتدعه الشعراء، وتفردوا به ومن اتبعهم، وما قصر في إيضاح ذلك وتحقيقه إلى غير ذلك من تصانيفه...).[1]

وقد بدأ الآمدي كتابه «الموازنة» بذكره أن في الشعر مذهبين متقابلين يختلفان من حيث صنعه ونقده، أما الأول فمذهب المطبوعين الذين لا يعمدون إلى التكلف في صناعة الشعر ويسيرون به على سجيتهم، ويمثلهم البحتري.

وأما الثاني فمذهب المتكلفين الذين يميلون إلى الغموض والتعقيد في المعاني، الأمر الذي يحتاج معه إلى شرح واستنباط، ويمثلهم أبو تمام.

ونتيجة لذلك يرى الآمدي أن الناس قد انقسموا معهما إلى قسمين، فأما القسم الأول فالكتّاب والاعراب، والمطبوعون من الشعراء وأهل البلاغة العربية والذين يؤثرون البحتري، وأما أصحاب الفلسفة والصنعة والمعاني المعقدة فيؤثرون أبا تمام.

ثم يبين الآمدي موقفه من الشاعرين مع ملاحظة ميله إلى شعر البحتري لاعتباره لديه من الشعراء المطبوعين، بينما يحمل على أبي تمام لتكلفه وصنعته المستكرهة في الألفاظ والمعاني، الأمر الذي جعله يعتبر شعر البحتري سائرا على مذهب الأوائل من أمثال أشجع السلمي، وأبي يعقوب المكفوف، وأمثالهما من المطبوعين.

بينما يرى أن أبا تمام في حيز مسلم بن الوليد ومن حذا حذوه. ويتجنى الآمدي على أبي تمام في أن شعره ينحط عن درجة مسلم بن الوليد، لسلامة شعر مسلم، وحسن سبكه، وصحة معانيه.

وهذا تجن واضح على أبي تمام الذي يمثل مذهبا واضحا في الشعر، إذ استمد ابو تمام مذهبه من مسلم بن الوليد وأخذ ينميه ويزكيه حتى أصبح مذهبا

(١) «انظر معجم الأدباء»، ياقوت الحموي، ج٨، ص٧٥-٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خالصا له، إذ إن صاحب المذهب لا يطلب إليه أن يخلق مذهبا من لا شيء وهذا ما فعله أبو تمام في اتباعه الطريق التي سار عليها مسلم بن الوليد.

«والآمدي بعد عرضه لجدال الطرفين جدالا نظريا في فن صاحبيهما يتطرّق إلى بيان أن كل شاعر لم يسلم من الطعن على شعره، حتى شعراء الجاهلية الممتازين من أمثال امرئ القيس وزهير، ويعرض طائفة من مآخذ الرواة عليهم، وهي مآخذ ترد في أكثرها إلى مطالبة الشاعر بأن لا يصف الأشياء كما هي في الواقع بل كمثل أعلى، كما ترد إلى المبالغة في فهم بعض الأبيات مبالغة تفسد معانيها، وأيضا فإنها ترد إلى مطالبة الشاعر بالمعاني اللغوية الدقيقة للألفاظ.

ومن حق الشاعر أن يحور قليلا أو كثيرا في المعنى القاموسي للكلمات، ويخرج الآمدي من ذلك إلى الحديث عن سرقات أبي تمام وأخطائه وسوء استخدامه للبديع».[١]

وأما المنهاج الذي رسمه الآمدي لنفسه في موازنته فيقوم على المقارنة بين قصيدتين من شعرهما في حالة اتفاقهما في الوزن والقافية وإعراب القافية. فيقارن بين معنى ومعنى، وعلى ضوء هذه المقارنة يحكم أيهما أشعر في تلك القصيدة وفي ذلك المعنى، وحينئذ يترك الحكم لمن شاء على جملة ما لكل واحد منهما، إذا علم الجيد والرديء.

وهو بذلك أقرب إلى مناهج النقد الحديثة إذ إنه لا يطلق الحكم منذ البداية وإنما يرجئه إلى حين عقده للمقارنة بين شعر الشاعرين.

ومن ثم ينتقل للحديث عن سرقات أبي تمام وأخطائه وسوء استخدامه للبديع، حيث أوصلها إلى (١١٩) سرقة، وقد بدأ حديثه بسرده حجة أصحاب أبي تمام في ذلك الموضوع، والقائمة على ذلك أن البحتري أكثر الأخذ من أبي تمام، لذلك فالمستعار منه أولى بالتقدمة من المستعير.

ويتضح تحيز الآمدي للبحتري مرة أخرى يبرر فعلة البحتري باعتباره أن كثيرا من المعاني عام، بحيث يشترك فيه كثير من الشعراء دون اعتبار أن أحدهما أخذ من الثاني، ، لذلك لا فضل لسابق على تال[٢]، بينما يرى أن السرقة تكون في البديع الذي ليس للشعراء فيه اشتراك.

«وقد اتفق الآمدي مع ابن أبي طاهر[٣] في إحدى وثلاثين سرقة، واختلف معه

---

(١) «البلاغة تطور وتاريخ»، ص١٢٩.

(٢) وهو يشير بذلك إلى أبي تمام.

(٣) هو أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، من مؤلفاته كتاب «سرقات الشعراء» وهو الكتاب الذي يشير إليه الآمدي، له ترجمة في الفهرست، ص٢١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في خمس عشرة سرقة، بعضها عده الآمدي مما يشترك فيه الناس من المعاني والجري على ألسنتهم والبعض الآخر مما يختلف فيه المعنيان».[١]

وقد سمع الآمدي أبا علي السجستاني يقول: إنه ليس لأبي تمام معنى انفرد به فاخترعه إلا ثلاثة معان أوردها المؤلف، وتعليقا على ذلك يقول الآمدي:

«ولست أرى الأمر على ما ذكره أبو علي، بل أرى أن له على كثرة مآخذه من أشعار الناس ومعانيهم- مخترعات كثيرة، وبدائع مشهورة وأنا أذكرها عند محاسنه»[٢]

ويمضي الآمدي في بيان سرقات أبي تمام فيطيل في ذلك، ثم ينتقل إلى أخطائه وإحالاته فيأخذ عليه وقوعه في تلك الأخطاء دون أن يلاحظ أن أبا تمام صاحب مذهب جديد في الشعر، ويسعى إلى تطويره الأمر الذي قد يدفعه إلى أن يتحيف باللغة قليلا أو كثيرا، إذ إن لكل مذهب أخطاءه، إلا أن المهم في ذلك عدم إفساده للذوق العام.

ومن الاستعارات القبيحة التي يذكرها الآمدي عند أبي تمام قوله:[٣]

يا دهر قوم من أخدعيك فقد ... اضججت هذا الأنام من خرقك

وقوله:[٤]

أنزلته الأيام عن ظهرها من ... بعد إثبات رجله في الركاب

والقبح في هذه الاستعارات عند الآمدي يعود إلى كثرة ما يجري فيها من تشخيص، وقد أشار ابن المعتز إلى هذا الجانب في شعر أبي تمام، حيث يذكر أبياتا لأبي تمام تضمّنَت استعارات عيبت عليه[٥] ومنها قوله:[٦]

مطر يذوب الصحو منه وبعده ... صحو يكاد من النضارة يمطر

وقوله:

كلوا الصبر غضا واشربوه فإنكم ... أثرتم بعير الظلم والظلم بارك

متى يأتك المقدار لا تك هالكا ... ولكن زمان غال مثلك هالك

---

(١) «تاريخ البلاغة العربية»، ص١٥٧.

(٢) «الموازنة»، لأبي القاسم الآمدي، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٤، دار المعارف، ص١٢٢.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص٢٤٥.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص٢٤٩.

(٥) أشار المرزباني إلى بعض الاستعارات التي عيبت على أبي تمام. انظر كتاب «الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء» للمرزباني، ط٢، القاهرة، ١٣٨٥، المطبعة السلفية، ص٢٧٤ وما بعدها.

(٦) «البديع»، عبدالله بن المعتز، مكتبة المثنى، بغداد، (بدون تاريخ)، ص٢٢-٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يعلق ابن المعتز قائلا: «وهذا وأمثاله من الاستعارات مما عيب من الشعر والكلام، وإنما مخبر بالقليل ليعرف فيتجنب»[١]

ثم يعلل الآمدي في موازنته موقف النقاد من أبي تمام فيقول: «إنما استعارات العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه: أو يناسبه أو يشبهه في بعض أحواله، أو كان سببا من أسبابه، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له، وملائمة لمعناه».[٢]

ويبدو أن الآمدي قد أخطأ في إقحامه هذا الجانب التصويري من جوانب الشعر في باب الاستعارة، إذ ينفصل عند الاستعارة القائمة على التشبيه، وإنما هو يقوم على تجسيم وتشخيص للمعاني بحيث تصبح متحركة.

ثم انتقل الآمدي للحديث عما جاء في شعر أبي تمام من قبيح التجنيس بعد مقدمة جاء فيها: «ورأى أبو تمام أيضا المجانس من الألفاظ شرفا في أشعار الأوائل، وهو ما اشتق بعضه من بعض».[٣]

ثم أورد الآمدي أمثلة لما وقع من الجناس في أشعار الأوائل ومنهم أمرؤ القيس، والقطامي وذو الرمة ... الخ وفي النهاية علق على هذه الأمثلة بقوله: «ومثل هذا في أشعار الأوائل موجود، لكن إنما يأتي منه في القصيدة البيت الواحد والبيتان، على حسب ما يتفق للشاعر، ويحضر في خاطره، وفي الأكثر لا يعتمده، وربما خلا ديوان الشعر المكثر منه؛ فلا ترى له لفظة واحدة فاعتمده الطائي، وجعله غرضه وبنى أكثر شعره عليه، فلو كان قلل منه واقتصر على مثل قوله:

يا ربع لو ربعوا على ابن هموم

وقوله: أرامة كنت مألف كل ريم

وقوله: يا بعد غاية دمع العين إن بعدوا

وأشباه هذا من الألفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى لكان قد أتى بالغرض وتخلص من الهجنة والعيب».[٤]

ثم ينتقل الآمدي للحديث عما يستنكره لأبي تمام من المطابق، وذلك بعد تعريفه إيّاه وتلوُّمه لقدامة في مخالفته لابن المعتز في تسميته الطباق باسم

---

(١) المصدر السابق، ص٢٣.

(٢) «الموازنة»، ج١، ص٢٥.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص٢٦٥.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص٢٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«المتكافئ» وتسميته الجناس الكامل حين تستخدم كلمة واحدة بمعنين باسم «المطابق»، وأرى أنه كان محقا في رأيه فلم يكن من داع لمخالفته ابن المعتز الذي تكلم في هذه الأنواع. حيث يقول الآمدي: «وما علمت أحدا فعل هذا غير أبي الفرج... فإني لم أكن أحب له أن يخالف من تقدمه، مثل أبي العباس عبدالله ابن المتعز وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع وألف فيها، إذ قد سبقوا إلى التلقيب، وكفوه المؤونة».[١]

ثم ينتقل الآمدي للحديث عن سوء نسج أبي تمام وتعقيده ووحشي ألفاظه[٢]

وفي هذا الباب يشير الآمدي إلى الخطأ الذي وقع فيه قدامة في فهمه للمعاظلة، حيث قصرها على فاحش الاستعارة، دون سوء تداخل الألفاظ، ولعل كثرة ما ورد عند أبي تمام من الغريب بالقياس إلى البحتري، إنما مرجعه أنه كان يميل إلى الغوص في أعماق المعاني فيتعمق فيها مما يجعله أحيانا يختار اللفظ الغريب.

ومن المعاظلة انتقل للكلام عما كثر في شعر أبي تمام من الزحاف واضطرب الوزن، حيث أورد سبعة أبيات كنموذج لما اضطرب وزنه بكثرة الزحاف، ثم عقب على ذلك، فقال: «ومثل هذه الأبيات في شعره كثيرة إذا أنت تتبعته، ولا تكاد في أشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيئا».[٣]

ومن ثم يتحدث الآمدي عن سرقات البحتري، مكررا كلامه ورأيه السابق، بأن للشعراء الاشتراك في المعاني العامة، الأمر الذي يوجب تنحيتها حيث تبحث سرقات الشاعر، ونلمس من ذلك أن الآمدي يريد بذلك تخفيف حدة ما أثبته أنصار أبي تمام من كثرة سرقات البحتري وأخذه عن أبي تمام وغيره.

ويتحدث عن أخطائه في المعاني والألفاظ وما أساء فيه من جناس وطباق وغيرهما، ثم يدافع عنه بقوله: «وما رأيت شيئا مما عيب به أبو تمام إلا وجدت في شعر البحتري مثله، إلا أنه في شعر أبي تمام كثير وفي شعر البحتري قليل»[٤] ولا يلبث أن يكشف عن عصبيته للبحتري فيصفه بحسن الديباجة، ورونق الكلام وما يجري فيه من حلاوة وعذوبة قائلا: «والبلاغة إنما هي إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف... فإن اتفق -مع هذا- معنى لطيفٌ أو حكمة غريبة، أو أدب حسن فذاك زائد في بهاء الكلام، وإن لم

---

(١) «الموازنة»، ج١، ص٢٧٥.

(٢) انظر المصدر السابق، ج١، ص٢٧٦.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص٢٩٠.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص٣٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتفق فقد قام الكلام بنفسه، واستغنى عما سواه»[١] وكأني به قد أخرج من البلاغة معاني أبي تمام الدقيقة والحكم الغريبة.

ويظهر تحيز الآمدي للبحتري بشكل واضح في حديثه عن ابتداءات الشاعرين حيث أزرى على كثير من ابتداءات أبي تمام، بينما نوّه طويلا بابتداءات البحتري[٢]

وبعد فإن قيمة هذا الكتاب تكمن في جانبه البلاغي التطبيقي، حيث اتخذ الآمدي بعض العناصر البلاغية أساسا لنقده أو لموازنته النقدية، ومن هذه العناصر (الألفاظ) حيث نظر إليها بمنظار البلاغيين من حيث استيفاؤها لنعوت الحسن التي لها عندهم، الأمر الذي جعله يعد من سوء النظم التعقيد اللفظي، واستعمال الوحشي من الألفاظ والمماطلة.

أما بالنسبة للاستعارة فقد أجاز منها ما استوفى صفات الاستعارة الحسنة عند البلاغيين، الأمر الذي جعله يعقد بابا لما في شعر أبي تمام من قبيح الاستعارات.

ويلاحظ أيضا أن الآمدي قد اتخذ بعض فنون البديع في ميزان نقده من التقسيم والجناس والطباق، حيث رأى إسراف أبي تمام في طلب الجناس والطباق في أكثر شعره، وتكلف.[٣]

٣- الرُّماني ورسالته "النكت في إعجاز القرآن":

هو علي بن عيسى الرماني المتوفى سنة (٣٨٦هـ)، وهو أحد أعلام المعتزلة في عصره، وله مصنفات كثيرة في التفسير والنحو وعلم الكلام.[٤]

والمتتبع لرسالته في إعجاز القرآن يرى أنه قد تأثر وأثر في بلاغة القرن

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص٤٠٠-٤٠١.

(٢) انظر «الموازنة»، ج١، ص٤٠٦ وما بعدها.

(٣) انظر كتاب «الإيضاح في علوم البلاغة»: الخطيب القزويني، (-٧٣٩)، شرح وتعليق وتنقيح، د. محمد عبدالمنعم الخفاجي، ط٢، ج٣، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

(٤) انظر ترجمته:«تاريخ بغداد»: الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، المجلد الثاني عشر، ص١٦، «معجم الأدباء»، ياقوت الحموي، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، المجلد الرابع عشر، ص٧٣،« شذرات الذهب في أخبار من ذهب»: أبو الفلاح عبدالحي ابن عماد الحنبلي (-١٠٨٩هـ)، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م، ج٣، ص١٠٩، «الإمتاع والمؤانسة»، أبو حيان التوحيدي (-٤١٤هـ) تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣، ج١، ص١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرابع الهجري، ويتضح ذلك من خلال محاولته وضع تعريف جامع مانع للبلاغة إذ لم يأخذ باقوال السابقين في البلاغة فيما ورد عن بعضهم منها في صور مقتضبة متواترة، ذكر أكثرها الجاحظ في البيان والتبيين، ومنها أنهم كانوا يسألون عن البلاغة فيجيبون: هي إفهام المعني، وهي تحقيق اللفظ على المعنى.[١]

فالرماني لا يرى أن البلاغة مجرد إفهام المعني، وتعليله في ذلك أن المعني قد يفهمه متكلمان أحدهما بليغ والآخر عَيِيّ، كما أنه لا يرى أن البلاغة تكون بتحقيق اللفظ على المعني، وذلك لأنه قد يتحقق ذلك وهو غث ومستكره ونافر متكلف.

لذا فالبلاغة عنده «إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ»[٢]. ويتضح بذلك أن الرماني يهدف من تعريفه السابق تحقيق غرضين، أما الأول فهو ما يسمى بالأثر النفسي للبلاغة وذلك في قوله: «إيصال المعنى إلى القلب، وأما الآخر فيتعلق بالأسلوب من لفظ وصياغة أو النظم حيث وصفه بأنه في أحسن صورة.

كما يتضح من تعريفه السابق أن الجمال البلاغي لا يتحقق إلا بانتظام اللفظ والمعنى في أساليب، وبإيصال المعنى إلى القلب.

والرماني في تعريفه للبلاغة يبدو أنه قد تأثر بتعريف قدامة لها في كتابه «نقد النثر» حيث عرفها بأنها: «... القول المحيط بالمعنى المقصود، مع اختيار الكلام، وحسن النظام، وفصاحة اللسان».[٣]

فكلاهما يؤكد على الأسلوب وحسن الصياغة أو النظم، إلا أن الرماني زاد عليه «إيصال المعنى إلى القلب» وهو ما ذكرناه سابقا، من أنه الأثر النفسي للبلاغة، ذلك الجانب الذي أبرزه الخطابي من بعد كجانب للإعجاز القرآني.

إذ يقول الخطابي في ذلك: «قلت في إعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعهُ بالقلوب وتأثيره في

---

(١) انظر «أثر القرآن في تطور النقد العربي»: د. محمد زغلول سلام، ط٢، دار المعارف، ١٩٦١م، ص٢٣٠-٢٣٦.

(٢) «النكت في إعجاز القرآن»: الرماني، ضمن «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن»، تحقيق د. محمد زغلول سلام ومحمد خلف الله، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م، ص٦٩.

(٣) «نقد النثر»، ص٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النفوس...»[١]

«وقد أصبح ذلك الجانب أساسا من أسس نظرية عبدالقاهر الجرجاني في النظم من خلال كتابه «الدلائل والأسرار» وأساسا لدراسات بعض المعاصرين».[٢]

وقد بدأ الرماني رسالته بتقسيم البلاغة ثلاث طبقات: عليا، ووسطى، ودنيا[٣] ثم يبين أن العليا هي بلاغة القرآن، حيث وصلت أقصى ما يمكن أن يصله التعبير باللسان العربي.

ثم يقسم البلاغة إلى أقسام عشرة تتمثل بـ: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل،والتجانس،والتصريف،والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان.[٤]

ثم يباشر الرماني في تفسيرها بابا بابا، فيبدأ بتفسير الباب الأول منها وهو الإيجاز:

حيث يرى أنه «تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى»[٥] ثم يقسمه إلى حذف وقصر، وهو بذلك يزيد على قدامة في نقد النثر، فيقول الرماني: «والايجاز على وجهين: حذف وقصر، فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام».[٦]

وهو بذلك لا يجيز الحذف إلا بدليل عليه يسوغه، وقد يكون لفظيا من حال الكلام، أو معنويا من سياق التركيب، وبذا يقترب من النحويين وشروطهم في حذف أي جزء من أجزاء الكلام بدليل لفظي أو معنوي.

وإيجاز الحذف -عنده- من خلال الأمثلة التي يسوقها على نوعين:

١- نوع من حذف المضاف، مثل قوله تعالى: «واسأل القريّة»[٧] والتقدير

---

(١) «بيان إعجاز القرآن»، الخطابي، ضمن «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن»، تحقيق د. محمد زغلول، ومحمد خلف الله، دار المعارف، ص٦٤.

(٢) «في إعجاز القرآن» د. محمد بركات ابو علي، ط١، ١٩٨٣م، منشورات مؤسسة الخافقين ومكتبتها. من الأمثلة التي يوردها الدكتور محمد بركات على الدراسات التي تناولت الأثر النفسي: كتاب أصول علم النفس في الأدب العربي القديم، زهدي جادالله، وعلم النفس والأدب، د. سامي الدروبي، والتفسير النفسي للأدب، د. عز الدين اسماعيل.ص١٠٨.

(٣) انظر: «النكت»، ص٦٩.

(٤) انظر المصدر السابق، ص٧٠.

(٥) انظر المصدر السابق، ص٧٠.

(٦) المصدر السابق، ص٧٠.

(٧) سورة يوسف، الآية٨٢، انظر المصدر السابق، ص٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واسأل أهل القرية.

٢- نوع من حذف الأجوبة، مثال قوله تعالى: «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها»[١] كأنه قيل: حصلوا على النعيم المقيم.

ثم يبين أن مراتب الإيجاز على وجهين:

١- عام ٢- خاص.

وأما العام فيتشمل في اعتباره أن الإيجاز فيه غموض، والخاص في أن ايجاز القصر أغمضُ من إيجاز الحذف، ويعلل ذلك للحاجة إلى العلم بالمواضع التي يصلح فيها من المواضع التي لا يصلح.[٢]

وقد قسم الرماني الإيجاز في رسالته إلى ثلاثة تقسيمات:

١- إيجاز بالحذف أو بالقصر.

٢- إيجاز في إظهار النكتة بعد الفهم لشرح الجملة، وإيجاز إحضار المعنى بأقل ما يمكن من العبارة.

٣- إيجاز بسلوك الطريق الأقرب دون الأبعد، وإيجاز باعتماد الغرض دونما تشعب.

وحتى يطمئن الرماني لما قدمه في باب الإيجاز، نراه يورد أكثر من تعريف له، فيقول: «والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الدرن، والإيجاز البيان عن المعني بأقل ما يمكن من الألفاظ، والإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير، والإيجاز والإكثار إنما هما في المعنى الواحد».[٣]

والرماني بذلك يكون قد صور الإيجاز تصويرا كاملا، حيث لم يضف إليه البلاغيون التالون شيئا جديدا، يزيد على ما جاء به الرماني في رسالته.

باب التشبيه:

يبدأ الرماني الباب بتعريفه التشبيه فيقول: «هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل»[٤] وهو بذلك يجعل التشبيه مقترنا بالإحساس والذوق اللذين يشتركان مع التفكير في فهم التشبيه، والرماني يقصد بـ (العقد) الاشتراك بين شيئين، بحيث يسد أحدهما مكان الأخر.

---

(١) سورة الزمر، الآية٧٣، انظر المصدر السابق، ص٧٠.

(٢) «النكت»، ص٧١.

(٣) المصدر السابق، ص٧٤.

(٤) المصدر السابق، ص٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يشير الرماني إلى التشبيه الحسي بقوله: «وأما التشبيه الحسي فنحو تشبيه قوة زيد بقوة عمرو، فالقوة لا تشاهد ولكنها تعلم، سادّة مسدّ أخرى فتشبه»[١]

ويلاحظ أن الرماني يميل إلى الإكثار من الأقسام والتعاريف، فنجده يقسم التشبيه إلى قسمين:[٢]

١- تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما، ومثال ذلك: تشبيه الجوهر بالجوهر.

٢- تشبيه شيئين مختلفين لمعنى مشترك يجمعهما، مثل: تشبيه الشدة بالموت والبيان بالسحر الحلال.

وقد اشترط الرماني تفاضل الشعراء في بلاغة التشبيه ذلك التشبيه الذي يكون على أربعة أوجه.[٣]

والرماني يجعل التشبيه على وجهين: تشبيه بلاغة، وتشبيه حقيقة، فتشبيه البلاغة كتشبيه أعمال الكفار بالسراب، وتشبيه الحقيقة نحو: هذا الدينار كهذا الدينار.[٤]

وفي نهاية هذا الباب نجد أن الرماني قد أثر في كلامه عن التشبيه في البلاغيين الذين جاءوا من بعده من أمثال أبي هلال العسكري، والجرجاني، حيث أخذ أبو هلال العسكري كلامه عن التشبيه وتوسع فيه.[٥]

باب الاستعارة:

عرف الرماني الاستعارة بأنها: «تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة».[٦]

ثم يفرق بين التشبيه والاستعارة، فما كان من التشبيه بأداة في الكلام، فهو على أصله، إذ لم يُغيِّر عنه في الاستعمال، بينما الاستعارة مخرج ما ليست العبارة له في أصل اللغة.

«وكل استعارة فلا بد فيها من أشياء: مستعار ومستعار له، ومستعار فيه.

---

(١) المصدر السابق، ص٧٤.

(٢) انظر «النكت»، ص٧٤-٧٥.

(٣) سيتم ذكر الأوجه وتحليل شواهدها في الفصل الثاني من هذه الرسالة تجنبا للتكرار.

(٤) انظر «النكت» ص٧٥، د. بدوي طبانه يعتبر التقسيم السابق من أبدع ما في هذا الباب.
وذلك في كتابه «البيان العربي»، ط٤، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٨م، ص٥٠.

(٥) سيتضح ذلك في الفصل الثالث من الرسالة.

(٦) «النكت» ص٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاللفظ المستعار قد نقل عن أصل إلى فرع للبيان. وكل استعارة بليغة فهي جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما يُكسب بيان أحدهما بالآخر كالتشبيه، إلا أنه بنقل الكلمة، والتشبيه بأداته الدالة عليه في اللغة، وكل استعارة حسنة فهي توجب بلاغة بيان لا تنوب منابه الحقيقة، وذلك أنه لو كان تقوم مقامه الحقيقة، كانت أولى به ولم تجز الاستعارة».[١]، ويمضي الرماني في تحليل بعض ما جاء في القرآن من الاستعارة، ومن هذه الاستعارات قوله تعالى: «بريح صرصر عاتية»[٢]

ويقول الرماني في تحليله لها: «حقيقته شديدة، والعتوُ أبلغ منه لأن العتو شد فيها تمرد[٣]...، وقال تعالى: «وإنه في أم الكتاب لدينا».[٤]

حقيقتهُ أصل الكتاب، وهو أبلغ لأن الأمَّ أجمع وأظهر فيما يرد إليه مما ينشأ عنه...»[٥]

والرماني في تحليله للآيات يسعى إلى بيان قوة الإعجاز القرآني فيها، وقبل أن يذكر شواهد الاستعارة الواردة في القرآن الكريم، نراه يذكر مثالا عليها في بيت لامرئ القيس (قيد الأوابد) ثم يبين أن الحقيقة فيه مانع الأوابد، إلا أن قيد الأوابد أبلغ وأحسن[٦] وكأني به هنا يسعى إلى بيان الفرق بين بلاغة التعبير في القرآن والتعبير في كلام الناس شعراء أو خطاب.

ويلاحظ على الشواهد التي جاء بها الرماني في باب الاستعارة أنه تغلب عليها شواهد القرآن الكريم، حيث يورد الآية ويبرز معناها الحقيقي ثم معناها البليغ. كما أن الرماني يلجأ في توضيحه للاستعارة إلى استخدام الوسائل المحسَّة والتي تعين على توضيح الاستعارة وجمالها، ومن ذلك قوله تعالى:

«ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر»[٧] حيث يبين الرماني أن «حقيقته لنعذبنهم، والاستعارة أبلغ، لأن إحساس الذائق أقوى لأنه طالب لإدراك ما يذوقه، ولأنه جعل بدل إحساس الطعام المستلذ إحساس الآلام، لأن الأسبق في

---

(١) «النكت»، ص٧٩.

(٢) سورة الحاقة: الآية٦٩، المصدر السابق، ص٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص٨٠.

(٤) سورة الزخرف، الآية٤٣، المصدر السابق، ص٨١.

(٥) المصدر السابق، ص٨١.

(٦) انظر المصدر السابق، ص٧٩.

(٧) سورة الزخرف، الآية٤٣، المصدر السابق، ص٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذوق ذوق الطعام».[١]

كما أن الرماني في باب الاستعارة تناول الاستعارة المكنية والتصريحية والتمثيلية، وإن لم يذكرها بهذه الاسماء، حيث يتضح ذلك من خلال إجرائه للاستعارة.[٢]

وبذلك نرى أن ما جاء به الرماني في باب الاستعارة أفاد منه البلاغيون التالون في بحثهم لها.[٣]

باب التلاؤم:

يبدأ الرماني حديثه في باب التلاؤم كعادته في سائر الأبواب من حيث تعريفه للمصطلح الذي يتناوله، فيعرف التلاؤم بقوله: «التلاؤم نقيض التنافر، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف، ومتلائم في الطبقة العليا»[٤]، وكأني به هنا يصنع الكلام البليغ في المرتبة الوسطى، والنظم القرآني في المرتبة العليا منه.

ويرى أن التلاؤم يقوم على الفطنة وشدة الإحساس، الأمر الذي يجعله متفاوتا ومختلفا بين الناس باختلاف مقدرتهم وطبيعتهم، فيقول: «واختلاف الناس في ذلك من جهة الطباع كاختلافهم في الصور والأخلاق».[٥]

ثم يبين السبب في التلاؤم، فيقول: «والسبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف، فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤما. وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد»[٦] وبهذا يكون التلاؤم في التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد.

ويلاحظ من كلام الرماني أنه متأثر بنظرية المعتزلة القائمة على القول بالمنزلة بين المنزلتين، واختيار أواسط الأمور، حيث انتفع بها في اعتدال الحروف في الكلمة، وكذلك اعتدال الكلمات مع بعضها بعضاً.

ثم يشير إلى الإعجاز القرآني الذي لا يقف عند حد التلاؤم في التركيب، فيقول: «فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات

---

(١) المصدر السابق، ص٨٦.

(٢) «النكت» ص٨٦.

(٣) سيتضح ذلك في الفصل الثالث.

(٤) «النكت»، ص٨٧.

(٥) المصدر السابق، ص٨٧.

(٦) المصدر السابق، ص٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظهر الإعجاز للجيد الطباع البصير بجواهر الكلام».[١]

ويبين الرماني بعد ذلك أن التحدي في الإعجاز للجميع لم يكن الغاية منه إظهار الإعجاز فحسب، بل إبراز جماليات القرآن الكريم وبلاغته. ثم يورد درجات التحدي في القرآن الكريم، وهي على مراتب:

١- قوله تعالى: «فأتوا بسورة من مثله».[٢]

٢- قوله تعالى: «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا».[٣]

٣- قوله تعالى: «قل لئن اجتمعت الإنس والجن».[٤]

٤- قوله تعالى: «فليأتوا بحديث مثله».[٥]

٥- قوله تعالى: «فأتوا بعشر سور مثله مفتريات».[٦]

ويرى الدكتور محمد بركات في كتابه «في إعجاز القرآن الكريم» أن التحدي كان حسب نزول الآيات في غير هذا الترتيب، ولو ذكر الرماني هذه الآيات حسب الترتيب في نزولها لكانت أفضل وأوفى في معنى التحدي[٧]، وهو مصيب في رأيه بحيث تصبح على الترتيب الآتي: (٤، ٥، ١، ٢، ٣).

باب الفواصل:

عرف الرماني الفواصل بأنها: «حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني. والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها. وهو قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة، إذ كان الغرض الذي هو حكمة إنما هو الإبانة عن المعاني التي تُعدّ الحاجة إليها ماسة، فإذا كانت المشاكلة وصلة إليه فهو بلاغة، وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولكنة، لأنه تكلف من غير الوجه الذي توجبه الحكمة. ومثله مثل من رصع تاجا ثم ألبسه زنجيا ساقطا، أو نظم قلادة در ألبسها كلبا».[٨]

---

(١) المصدر السابق، ص٨٩.

(٢) سورة البقرة: الآية٢٣، «النكت»، ص٨٩.

(٣) سورة البقرة: الآية٢٤، المصدر السابق، ص٨٩.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٨٨، المصدر السابق، ص٨٩.

(٥) سورة الطور: الآية٣٤، المصدر السابق، ص٨٩.

(٦) سورة هود: الآية ١٣، المصدر السابق، ص٨٩.

(٧) انظر «في إعجاز القرآن الكريم»، ص٧٧-٧٨.

(٨) «النكت»، ص٨٩-٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويضرب الرماني مثالا للسجع المتكلف، غير ذي المعنى المفيد ما يحكى عن بعض الكهان، مثل: «والأرض والسماء، والغراب الواقعة بنقعاء، لقد نفر المجد إلى العشراء»[١]، ويخلص من هذا ليقول: «وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها».[٢]

والفواصل عنده كلمات تتفق في نهاية حروفها بعضها مع بعض، ومن ذلك:

١- الفواصل التي بين حروفها تجانس، مثل قوله تعالى: «طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى».[٣]

٢- وهناك الفواصل التي بين حروفها تقارب في النطق مثل الميم والنون في قوله تعالى: «الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين».[٤]

وينتهي الرماني إلى التمييز بين الفواصل والقوافي، حيث أن للفواصل ميزة على القوافي في أنها «تكتف الكلام من البيان بما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة، وأما القوافي فلا تحتمل ذلك لأنها ليست في الطبقة العليا من البلاغة، وإنما حسن الكلام فيها إقامة الوزن ومجانسة القوافي، فلو بطل أحد الشيئين خرج عن ذلك المنهاج[٥] وبطل ذلك الحسن الذي له في الأسماع، ونقصت رتبته في الإفهام، والفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع، وتحسينها الكلام بالتشاكل وإبداؤها في الآي بالنظائر».[٦]

باب التجانس:

وقد عرفه بأنه «بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة»[٧]. وقد جعله على وجهين: مزاوجة، ومناسبة. أما المزاوجة فلا تقع إلا في الجزاء، ومثال ذلك قوله تعالى: «ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين»[٨] وقد سمى البلاغيون ذلك بالمشاكلة حيث استخدم المكر مع الله بدلا من الجزاء على سبيل

---

(١) المصدر السابق، ص٩٠.

(٢) «النكت»، ص٩٠.

(٣) صورة طه: الآية، ١، ٢، انظر المصدر السابق، ص٩٠.

(٤) سورة الفاتحة: الآية٣، ٤، انظر المصدر السابق، ص٩٠.

(٥) أي لخرج الكلام من دائرة الجمال.

(٦) المصدر السابق، ص٩١.

(٧) «النكت»، ص٩١.

(٨) سورة آل عمران: الآية ٥٤، المصدر السابق، ص٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المزاوجة للدلالة على أن وبال المكر راجع عليهم.

وأما تجانس المناسبة فيدور في فنون المعاني التي ترتد لأصل واحد، من مثل قوله تعالى: «ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم»[١] «فجونس بالانصراف عن الذكر، صرف القلب عن الخير، والأصل فيه واحد، وهو الذهاب عن الشيء، أما هم فذهبوا عن الذكر، وأما قلوبهم فذهب عنها الخير».[٢]

باب التصريف:

والتصريف عنده: «تصريف المعنى في المعاني المختلفة، كتصريفه في الدلالات المختلفة»[٣] كتصريف الألفاظ المشتركة في أصل واحد، مثل التصريفات المستخرجة من كلمة «عرض» إذ يأتي منها عِرض -بكسر العين-، وإعراض واعتراضٌ واستعراض، وتعرض، ومعارضة، وتعريض، وعروض. «وكله منعقد بمنعى الظهور»[٤]

وعلى هذه الشاكلة تصريف المعاني في الدلالات المختلفة في القرآن الكريم، حيث ذكرت قصة موسى -عليه السلام- في سورة الأعراف وفي سورة طه، وفي سورة الشعراء وغيرها «لوجوه من الحكمة منها:

التصريف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة، ومنها تمكين العبرة والموعظة، ومنها حل الشبهة في المعجزة»[٥] وهو بذلك يبين بأن الحدث يشفع له بالتكرار إذا ورد بصيغة جديدة يعرض بها.

باب التضمين:

يعرف الرماني التضمين بأنه: «حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه»[٦] ويقسمه إلى قسمين:[٧]

١- ما يدل عليه الكلام دلالة الإخبار، كذكر الشيء بأنه محدث. فهذا يدل على المحدث (اسم الفاعل) دلالة الإخبار.

٢- وما يدل عليه دلالة القياس، فهو إيجاز في كلام الله خاصة، حيث لا

---

(١) سورة التوبة، الآية١٢٧، المصدر السابق، ص٩٢.

(٢) «النكت»، ص٩٢.

(٣) المصدر السابق، ص٩٣.

(٤) المصدر السابق، ص٩٣.

(٥) المصدر السابق، ص٩٤.

(٦) المصدر السابق، ص٩٤.

(٧) انظر المصدر السابق، ص٩٤-٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يذهب عليه وجه من وجوه الدلالة.

ويقسمه أيضا إلى نوعين:[١]

١- تضمين توجيه بنية الكلمة، فكلمة (معلوم) توجب أنه لا بد من عالم.

٢- «تضمين يوجبه معنى العبارة من حيث لا يصح إلا به، ومن حيث جرت العادة بأن يعقد به».[٢]

ويلاحظ عليه في هذا الباب، مثل بعض الأبواب السابقة ميله إلى الإكثار من الأقسام والتصاريف دون الإكثار من الشواهد وتحليلها، وهذا ما سنبينه في الفصل الثاني من هذا البحث.

باب المبالغة:

يتحدث الرماني عن المبالغة، فيعرفها قائلا: «المبالغة هي الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة»[٣] ويذكر أنها على وجوه[٤] منها مبالغة عن طريق البنية كصيغ المبالغة في مثل غفّار، ومنها مبالغة بالتعميم مثل قولك: أتاني الناس، والذي أتاك جماعة منهم. ومنها مبالغة بالتعبير عن شيء يصاحبه تعظيما مثل: «وجاء ربك والملك صفا صفا»[٥] فجعل مجيء آياته مجيئا له على المبالغة في الكلام.

ومنها مبالغة إخراج الممكن إلى الممتنع، ومبالغة إخراج التعبير مخرج الشك في مثل: «وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين»[٦] ومنها مبالغة بحذف جواب الشرط مثل: «ولو ترى إذ وقفوا على النار»[٧] وواضح أنه لم يدرس المبالغة بمعناها العام، وإنما درسها في صورها القرآنية.

ويختم الرماني حديثه عن المبالغة بذكر مقصدها وغايتها، وذلك من خلال حديثه عن قوله تعالى: «ص والقرآن ذي الذكر»[٨]، ويأخذ الدكتور محمد بركات في كتابه «في إعجاز القرآن الكريم» على الرماني قوله في معرض حديثه عن

---

(١) انظر المصدر السابق، ص٩٤-٩٥.

(٢) «النكت»، ص٩٤.

(٣) المصدر السابق، ص٩٦.

(٤) انظر المصدر السابق، ص٩٦-٩٧.

(٥) سورة الفجر، الآية٢٢، المصدر السابق، ص٩٦.

(٦) سورة سبأ، الآية٢٤، المصدر السابق، ص٩٧.

(٧) سورة الأنعام، الآية٢٧، المصدر السابق، ص٩٧.

(٨) سورة ص: الآية١، المصدر السابق، ص٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحذف في الآية السابقة، أن الحذف أبلغ من الذكر، فيرى أنه كان ينبغي عليه أن يحترز من الإطلاق؛ لأن الحقيقة في مكانها أبلغ من الاستعارة البليغة في غير مكانها، لأن المعنى تطلبها وغير مقحمة، وهكذا فإن الحذف إذا لم يتطلبه الموقف، ويحتاجه المعنى، فالذكر أولى منه وأحق به. وأبلغ منه.[١]

إلا أنني أرى أن الرماني عندما ذكر الآية السابقة، بين بعض الأوجه المحتملة لما قد حذف، فقال: «كل ذلك يذهب إليه الوهم لما فيه من التفخيم. والحذف أبلغ من الذكر، لأن الذكر يقتصر على وجه والحذف يذهب فيه الوهم إلى كل وجه من وجوه التعظيم، لما قد تضمنه من التفخيم».[٢]

وكأن الرماني أراد أن يقول: والحذف أبلغ من الذكر في الآية السابقة، وذلك لأن الكلام الذي ذكره بعد ذلك يقتضي هذا الفهم.

ويتبين لنا أيضا من خلال ذكر الرماني لأوجه المبالغة السابقة أنه قد دمج بعض فنون المجاز التي عرفت عند علماء البلاغة السابقين في المبالغة.

باب البيان:

عرّف الرماني البيان بأنه: «الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك»[٣] ويقسم البيان إلى أربعة أقسام:

١- كلام ٢- حال ٣- إشارة ٤- علامة

وهو بذلك متأثر بالجاحظ الذي أضاف إليها (الخط)، إلا أن الرماني اكتفى بأربعة منها، ولم يذكر الخامسة (الخط)، ثم بين أن الكلام على وجهين:

«كلام يظهر به تميز الشيء من غيره فهو بيان، وكلام لا يظهر به تميز الشيء فليس ببيان كالكلام المخلط والمحال الذي لا يفهم به معنى»[٤] وهو بذلك ينفي البيان عن كلام الحمقى والمجانين.

ويشترط في البيان حسن الإفهام، لا مجرد الإفهام مع القبح أو الغي، ويقسمه إلى مراتب من حيث تكوينه، فأعلاه مرتبة: «ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع، ويسهل على اللسان وتتقبله النفس تقبل البرد، وحتى يأتي على مقدار الحاجة».[٥]

---

(١) انظر «في إعجاز القرآن الكريم»، ص٨٥.

(٢) «النكت»، ص٩٧.

(٣) المصدر السابق، ص٩٨.

(٤) المصدر السابق، ص٩٨.

(٥) المصدر السابق، ص٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما تقدم نجد أن الرماني قد ربط علو مرتبة البيان بأربعة أمور تتعلق بالصياغة هي: حسن الوقع في السمع، والخفة والسهولة على اللسان، وحسن التقبل في النفس، وأن يكون المقال على قدر المقام.

ثم يأخذ الرماني في الحديث عن الوجوه الستة لإعجاز القرآن الكريم، والتي ذكرها في فاتحة الرسالة.

وبذلك نرى بأن الرماني قد كان له الأثر الواضح في تشكيل الإطار البلاغي للقرن الرابع الهجري، كما أنه أثر في البلاغيين الذين جاءوا من بعده أكبر تأثير، حيث مهد لهم الطريق في دراسة الكثير من المصطلحات البلاغية، كالتشبيه، والإيجاز وغيرهما، إذ حدد بعض فنون البلاغة العربية تحديدا نهائيا، وبين أقسامها وفروعها وحلل شواهدها، الأمر الذي يجعل أثره في البلاغة بينا لا تشوبه شائبة.

٤- الخطابي ورسالته "بيان إعجاز القرآن":[1]

في هذه الرسالة يقرر الخطابي أن الناس قديما وحديثا ذهبوا في موضوع الإعجاز كل مذهب من القول إلا أنهم لم يصدروا عن رأي، ثم يناقش فكرة الصرفة وتضمن القرآن للأخبار المستقبلة، حيث يرفضها شرحا لأسرار الإعجاز، وينتقل بعد ذلك إلى موضوع البلاغة فيعيب على القائلين بها اعتمادهم على التقليد دون كلامهم يقصر عن الإقناع. فيعالج هذه القضية بطريقته الخاصة.

حيث يبدأ حديثه عن البلاغة ببيان أقسام الكلام المحمود فيجعلها في ثلاثة أقسام، ويصل إلى أن بلاغات القرآن قد أخذت من كل قسم من هذه حصة ومن كل نوع شعبة، فتشكل بذلك نمط من الكلام يجمع صفتي الضخامة والعذوبة، واجتماعهما كان في نظم القرآن فضيلة خص الله بها نبيه لتكون آية وحجة بينة.

وقد تعذر على جميع البشر الإتيان بمثله وذلك لمحدودية علمهم بجميع الأسماء والأوضاع في اللغة، ولعدم قدرتهم على إدراك جميع المعاني للأشياء المحمولة على تلك الألفاظ.

ثم يبين خصائص نظم القرآن الكريم، والذي أصبح بها معجزا حيث أنها لا

---

(١) «بيان إعجاز القرآن»: أبو سليمان حمد بن محمد إبراهيم الخطابي (ت٣٨٨هـ)، ضمن «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن». تحقيق: محمد خلف الله و د. محمد زغلول سلام، دار المعارف المصرية، انظر في ترجمة الخطابي معجم الأدباء، ج١٣، ص١٢٠٥-١٢٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تجتمع ولا تتسق إلا في كلام الله، وهو أمر تعجز عنه قوى البشر.[١]

ثم يبحث في الألفاظ واختلاف دلالاتها باختلاف مواقعها حيث أن كل لفظة لها موضعها الأخص الأشكل بها. وذلك ما أسماه بعمود البلاغة.

«ومناط البلاغة في النظم القرآني ، عند الخطابي أنه اللفظ في مكانه إذا أبدل فسد معناه أو ضاع الرونق الذي يكون منه سقوط البلاغة[٢] حيث ترى بنت الشاطئ أن هذا الملحظ الدقيق هو المحور الذي أدار عليه عبدالقاهر مذهبه في الإعجاز بالنظم.[٣]

ويتضح مما سبق أن الخطابي لدى دراسته البلاغة في رسالته لم يقصدها لذاتها، وإنما باعتبارها وجها من وجوه الإعجاز القرآني، وهذا ما سيتضح من خلال ملاحظة منهجه الذي رسمه لنفسه في رسالته. والذي سيتبين في الفصل الثاني من الرسالة.

قضايا متفرقة من رسالة "بيان إعجاز القرآن":

أ- أشار الخطابي في رسالته إلى السر البلاغي الكامن وراء التكرار في القرآن الكريم، حيث جعل التكرار على ضربين:

١- ضرب مذموم:

وهو «ما كان مستغنى عنه غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول، لأنه حينئذ يكون فضلا من القول ولغوا. وليس في القرآن شيء من هذا النوع».[٤]

٢- ضرب محمود:

وهو «ما كان بخلاف هذه الصفة، فإن ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه وتدعو الحاجة إليه فيه، بإزاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار، وإنما يحتاج إليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها، والاستهانة بقدرها.

وقد يقول الرجل لصاحبه في الحث والتحريض على العمل: عجّل عجل، وارم

---

(١) انظر «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن»، ص١١، ١٢.

(٢) «الإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق»: د. عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م، ص٨٩.

(٣) انظر المرجع السابق، ص٨٩.

(٤) «بيان إعجاز القرآن»، ص٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ارم. كما يكتب في الأمور المهمة على ظهور الكتب: مهم مهم مهم، ونحوها من الأمور».[١]

ثم يبين الخطابي السبب الذي من أجله تم تكرار بعض الأقاصيص والأخبار في القرآن الكريم، حيث يشير إلى أن ذلك واضح من إخبار الله لنا في قوله تعالى: «ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون»[٢]

وقوله عز وجل: «وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا»[٣]

ويمضي الخطابي في بيان سر التكرار الوارد في بعض سور القرآن الكريم، ومنها سورة الرحمن، وذلك لأن الله يخاطب فيها الإنس والجن، حيث بين لهم أنواع نعمه التي خلقها لهم، فكلما ذكر فصلا من فصول النعم جدد إقرارهم به واقتضاءهم الشكر عليه، وكذلك الأمر في سورة المرسلات حيث ذكر فيها أحوال يوم القيامة، وأهوالها فتم تقديم الوعيد فيها وتجديد القول عند ذكر كل حال منها، لتكون أبلغ في القرآن، وأكثر تأكيدا لإقامة الحجة والأعذار، حيث أن مواقع البلاغة معتبرة لمواضعها من الحاجة.

ويمضي الخطابي في التحليل والإجابة عن أسئلة الطاعنين في أسلوب القرآن الكريم، مقدما الحجة والبرهان على حسن نظمه.

ب- ومن خلال رده على الطاعنين في أسلوب القرآن الكريم، يبين لنا الخطابي السر البلاغي للإيجاز بالحذف[٤] حيث يقول : «وأما ما عابوه من الحذف والاختصار في قوله سبحانه: «ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى»[٥] فإن الإيجاز في موضعه. وحذف ما يستغنى عنه من الكلام نوع من أنواع البلاغة، وإنما جاز حذف الجواب في ذلك وحسن، لأن المذكور منه يدل على المحذوف والسكوت عنه من جوابه، ولأن المعقول من الخطاب عند أهل الفهم كالمنطوق به، والمعنى: ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكان هذا القرآن»[٦] فيشير إلى أن الحذف في مثل هذه المواضع

---

(١) المصدر السابق، ص٤٨.

(٢) سورة القصص: الآية ٥١، «بيان إعجاز القرآن»، ص٤٨.

(٣) سورة طه: الآية١٣، المصدر السابق، ص٤٨.

(٤) انظر كتاب «دراسات بلاغية في القرآن الكريم»، د. محمد حسن شرشر، ط١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٦٩.

(٥) سورة الرعد: الآية٣١، «بيان إعجاز القرآن»، ص٤٧.

(٦) المصدر السابق، ص٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبلغ من الذكر، حيث أن ذكر الجواب يجعله مقصورا على وجه محدد، إلا أن حذفه يجعل النفس تذهب فيه كل مذهب، وهو بذلك أبلغ من الذكر.

جـ- ويرد الخطابي على الطاغين بوجود كلمات في كتاب الله لم تقع موقعها الأخص الأشكل بها، حيث ذكروا منها قوله تعالى: «فأكله الذئب»[١] حيث ادعوا أنه يستعمل مع الذئب الافتراس ونحوه، إلا أن الخطابي أبطل دعواهم بقوله: «فأما قوله تعالى : «فأكله الذئب» فإن الافتراس معناه في فعل السبع القتل فحسب، وأصل الفرس[٢] دق العنق، والقوم إنما ادعوا على الذئب أنه أكله أكلا، وأتى على جميع أجزائه وأعضائه فلم يترك مفصلا ولا عظما، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياهم بأثر باق منه يشهد بصحة ما ذكروه فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى فلم يصلح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل».[٣]

د- في حديثه عن الإعجاز القرآني من جهة البلاغة، قسم الكلام إلى مراتب ثلاث، هي:

١- البليغ الرصين الجزل.

٢- الفصيح القريب السهل.

٣- الجائز الطلق الرسل.

وقد جعلها من أقسام الكامل الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم، الذي لا يوجد منه في القرآن شيء البتة. ثم بين أن بلاغة القرآن حازت حصة من كل قسم من هذه الأقسام أو المراتب. بخلاف ما ذهب إليه الرماني في رسالته، إذ قصر بلاغة القرآن على المرتبة الأولى فقط.

وترى الدكتورة بنت الشاطئ أن الخطابي قد أخطأ في اعتباره أن بلاغة القرآن تحور هذه البلاغات في طبقاتها الثلاث، لأن ذلك يعني أن في القرآن ما هو من الدرجة العليا في البلاغة، وفيه ما هو من أوسطها وأدناها وذلك لأن هذه الدرجات الثلاث لا تجتمع في السورة الواحدة، والتحدي كان بسورة واحدة.[٤]

وأرى أن وجود المعاني العليا والوسطى والدنيا في بلاغة القرآن يعد فضيلة له، إذ أن القرآن يشتمل على مستويات من المعاني، يفهمها عالي الثقافة،

---

(١) سورة يوسف: الاية١٧، المصدر السابق، ص٣٧.

(٢) هكذا وردت في الرسالة ص٣٧ وتعني الافتراس.

(٣) «بيان إعجاز القرآن»، ص٣٧.

(٤) انظر «الإعجاز البياني للقرآن»، ص٩١-٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومتوسطها من الناس، وفيه ما يفهمه من هو دون ذلك فصاحة وبيانا من الطبقة الدنيا[١]

هـ- أتم الخطابي رسالته ببيان وجه من وجوه الإعجاز خفي على كثير من الناس، ويقصد بذلك صنيع القرآن في النفوس والقلوب.

حيث يقول: «قلت في إعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس».[٢]

ويضرب الأمثلة لمظاهر هذا الوجه، منها: عندما خرج عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لقتل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل إسلامه سار إلى دار أخته فسمعها تقرأ سورة طه، فلما وقعت الآيات في سمعه لم يلبث أن آمن، وغير ذلك من الأمثلة من أمر عتبة بن ربيعة وأبي الوليد بن المغيرة.[٣]

ثم يبين الخطابي أن مصداق ما ذكره في أمر القرآن يتجلى في قوله تعالى: «ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله»[٤] وسواء أكان الخطابي قد كشف عن هذا الوجه بنفسه أو أفاد به من غيره، فإن الخطابي أشار إلى هذا الأثر مع التعليل وهذا ما جعله يتفرد بذلك دون غيره، الأمر الذي جعله يقول: «قلت في إعجاز القرآن وجها آخر...»[٥] حيث يعترف بسبقه هذا الرأي من غيره.

كما أن الخطابي قد أشار إلى تقصير القوم في عدم تبيان أسباب تأثير القرآن في النفس إذ يقول: «قالوا: وقد توجد لبعض الكلام عذوبة في السمع وهشاشة في النفس لا توجد مثلها لغيره منه، والكلامان معا فصيحان، ثم لا يوقن لشيء من ذلك على علة».[٦]

وبذلك يتضح بأن الرسالة التي أنشأها الخطابي جاءت انتصارا لبيان إعجاز القرآن، وهو في تناوله البلاغة -كما ذكرنا سابقا- لم يتناولها لذاتها وإنما لاعتبارها وجها من وجوه الإعجاز القرآني، مما اقتضى عليه الإشارة إلى الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم. بينما وجدنا أن الرماني قد بسط الحديث في بيان إعجاز القرآن من الناحية البلاغية، وذلك بجعله البلاغة على عشرة أقسام.

---

(١) فصل الدكتور محمد بركات هذه القضية في كتابه «في إعجاز القرآن الكريم» ص١١٨-١١٩.

(٢) «بيان إعجاز القرآن»، ص٦٤.

(٣) المصدر السابق، ص٦٤-٦٥.

(٤) سورة الحشر، الاية٢١، المصدر السابق، ص٦٥.

(٥) المصدر السابق، ص٦٤.

(٦) المصدر السابق، ص٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥-علي بن عبدالعزيز الجرجاني وكتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه"[١]

إن المتتبع لمقدمة كتاب «الوساطة» ليرى أن ما حفز القاضي الجرجاني على وضع كتابه الخصومة الشديدة في عصره بين أنصار المتنبي وخصومه، حيث قامت على أساس من التعصب والهوى، فيبين القاضي الجرجاني موقفه من ذلك فيقول:

«وما زلت أرى أهل الأدب -منذ الحقتني الرغبة بجملتهم، ووصلت العناية بيني وبينهم- في أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي فئتين: من مطنب في تقريظه، منقطع إليه بجملته... وعائب يروم إزالته عن رتبته، فلم يسلم له فضله، ويحاول حطه عن منزلة بوأه إياها أدبه... وكلا الفريقين إما ظالم له أو للأدب فيه...»[٢].

ثم يبين القاضي أن الشاعر مهما بلغت منزلته فإنه لم ينج من خطأ أو أخطاء، لأن الإنسان يخطيء ويصيب، إلا أن كثرة الأخطاء هي التي ترفع شاعراً درجة أو درجات، ولهذا فإنه يبدأ كتابه بالحديث عن أغاليط الشعراء، ليثبت أن الشاعر إنسان والإنسان غير معصوم عن الخطأ، فيأتي على شعر أهل الجاهلية، وذلك لأن الناس رأوا فيهم القدوة والحجة، فيرى أن كثيراً من أشعارهم معيبة مسترذلة، إلا أن الظن الجميل للناس بهم هو الذي ستر عليهم، حيث تصدى من الناس من يدافع عنهم ويذهب في ذلك كل مذهب، فيقول: «ولولا أن أهل الجاهلية جُدُّوا بالتقدم، واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة، والأعلام والحجة، لوجدت كثيراً من أشعارهم معيبة مسترذلة، ومردودة منفية، لكن هذا الظن الجميل والاعتقاد الحسن ستر

---

(١) هو علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني ابن الحسن، قاضي الري في أيام الصاحب بن عباد. له عدة تصانيف منها: كتاب «تفسير القرآن المجيد»، وكتاب «تهذيب التاريخ»، وكتاب «الوساطة»... انظر ترجمته «معجم الأدباء»: الجزء الثالث، ص٢٠٥-٢٠٧/١٢/«طبقات الشافعية الكبرى»: تاج الدين السبكي (ت٧٧١هـ) تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناجي، مطبعة عيسى البباي الحلبي - ١٩٦٤م ص١١.

«البداية والنهاية»: ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، تدقيق وتحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون، مطبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٨م،ج/ص٣٣١، / «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»: ابن خلكان (ت٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ١٩٧٢م، ج٣،ص٢٧٨. / «سير أعلام النبلاء»: الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩١م:ج١٧،ص١٩.

(٢) «الوساطة بين المتنبي وخصومه»: القاضي الجرجاني، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد، منشورات المكتبة العصرية - بيروت، ص٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليهم، ونفى الظِّنَّة عنهم، فذهبت الخواطر في الذَّب عنهم كل مذهب، وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام»[١].

ثم يأخذ في عرض أغاليط الشعراء قدماء ومحدثين، مبتدئاً بالأغاليط اللغوية ومن ثم ينتهي بأغاليطهم في المعاني، حيث يقول: ثم عدت إلى ما عده العلماء من أغاليطهم في المعاني...كقول أبي ذؤيب في الدُّرة:

فجاء بها ما شئت من لطمية يدور الفرات حولَها ويموج

فالفرات هو العذب، والدر لا يوجد إلا فَي الملح...»[٢]

وبعد أن ينتهي من أغاليط الشعراء ينتقل للحديث عن الشعر ويبين موقفه من الشعر القديم والحديث، حيث يشير إلى تعنت العلماء واللغويين للشعر القديم، وتفضيلهم إياه على الشعر المحدث، وهم في ذلك لا ينطلقون من نقد موضوعي، إذ يفضلون القديم لقدمه لاغير دون نظرهم في مضمونه لمعرفة إن كان الشعر جيداً أو غير جيد.

وهنا يظهر القاضي الجرجاني بروح الناقد الموضوعي والأمين في نقده، إذ يرى بأن الشعر يساير العصر، لذا فإنه يتطور مع الزمن، وينبغي أن لا يطلب من المولدين اتباع الجاهليين في أنماط أشعارهم وأساليبهم وصورهم وذلك لاختلاف البيئة والزمن[٣].

ومن ثم يبين نفور الناس من شعر المتكلفين، ذلك أن في مفارقة الطبع قلة الحلاوة وذهاب الرونق، ويضرب مثالاً لذلك في شعر أبي تمام حيث حاول الاقتداء بالأوائل في كثير من ألفاظه «فتعسف ما أمكن، وتغلغل في التصعب كيف قدر، ثم لم يرض بذلك حتى أضاف إليه طلب البديع، فتحمله من كل وجهٍ، وتفصَّل إليه بكل سبب»[٤]

وقد يظن ظان أن القاضي يحمل على أبي تمام لاتخاذه البديع في شعره وإكثاره منه، ولكنني أرى أن التكلف في بعض شعره هو الذي جعله يتحدث عنه بتلك الصورة، حيث أخذ القاضي على عاتقه منذ بداية كتابه أن يكون موضوعياً في حكمه، ولعل القاضي خشي أن يفهم موقفه من أبي تمام بشكل خاطئ لذلك قال: «ولست أقول هذا غضاً من أبي تمام، ولا تهجناً لشعره، ولا عصبية عليه

---

(١) «الوساطة بين المتنبي وخصومه»، ص٤.

(٢) المصدر السابق، ص١٣ - ١٤.

(٣) انظر المصدر السابق: ص١٥ - ١٨.

(٤) المصدر السابق: ص١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لغيره. فكيف وأنا أدين بتفضيله وتقديمه، وأنتحلُ موالاته وتعظيمه، وأراه قبلة أصحاب المعاني... لكن ما سمعتني اشترطه في صدور هذه الرسالة أنه يحظر إلا اتباع الحق وتحري العدل والحكم به لي أو علي...»[١].

ثم يعرض لشعر البحتري، فيرى أنه الشعر المطبوع، ويقول: «ومتى أردت أن تعرف ذلك عياناً، وتستثبته مواجهةً، فتعرف فرق ما بين المصنوع والمطبوع، وفضل ما بين السمع المنقاد، والعصي المستكره، فاعمد إلى شعر البحتري...»[٢].

وبعد أن يورد أبياتاً للبحتري موافقة لنظرته فيه نراه يشابه شعر البحتري بشعر جرير حيث يورد أبياتاً له ومن ثم يشير إلى تناسب أبياتها وازدواجها، وملاءمة بعضها لبعض[٣].

وفي نهاية المطاف يذكر بأن طريقة العرب في الشعر تعتمد على خصائص معينة ليست هي ما توفر في شعر المحدثين، ويقول: «...وكانت العرب إما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب، وبَدَهَ فأعزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض»[٤].

وأما البديع «...قد كان يقع ذلك في خلال قصائدها، ويتفق لها في البيت بعد البيت على غير تعمد وقصد، فلما أفضى الشعر إلى المحدثين، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف، تكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع، فمن محسن ومسيء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومفرط»[٥].

ويأخذ في الحديث عن ألوان البديع، وهي على النحو الأتي:

الاستعارة، التشبيه، التجنيس، المطابقة، التصحيف، التقسيم، جمع الأوصاف، الاستهلال والتخلص، الخاتمة.

وقبل أن نعرض للأساليب البيانية السابقة في كتاب «الوساطة»، وجب أن

---

(١) «الوساطة»: ص٢٠.

(٢) المصدر السابق، ص٢٥.

(٣) أنظر المصدر السابق: ص٢٩ - ٣١.

(٤) المصدر السابق: ص٣٣ - ٣٤.

(٥) المصدر السابق: ص٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نشير إلى أن الجرجاني في كلامه عن تلك الأساليب، تأثر بمنهج الأدباء في الكتابة، حيث يصف هذه الأساليب ويوضحها غالباً بالشواهد من غير أن يسهب في الحدود والأقسام والتعاريف، وهو في ذلك شبيه بالخطابي في رسالته التي وضعها في الإعجاز القرآني.

ومن الأساليب البيانية التي تناولها القاضي الجرجاني في رسالته أسلوب الاستعارة، ويلاحظ من خلال عرضه للشواهد التي أتى بها أنه جعلها في قسمين:

١- استعارة حسنة، ومن أمثلتها: قول مسلم: «ولما تلاقينا قضى الليل نحبه»[١]

٢- استعارة سيئة: ومنها قول أبي تمام:

«باشرت أسباب الغنى بمدائح ضربت بأبواب الملوك حلولا»[٢].

وغيرها من الأمثلة التي يسوقها على الاستعارة السيئة والتي يعلق عليها فيقول «...فاسدد مسامعك، واستغش ثيابك وإياك والإصغاء إليه، واحذر الالتفات نحوه، فإنه مما يصدئ القلب ويعميه، ويطمس البصيرة، ويكدّ القريحة»[٣].

ثم يشير إلى أن بعض الناس يخلط بين الاستعارة والتشبيه البليغ، الأمر الذي جعله يفرق بينهما، فيقول: «فقد رأيت بعض أهل الأدب ذكر أنواعاً من الاستعارة عد فيها قول أبي نواس:

والحبّ ظهر أنت راكبه فإذا صرفت عنانه انصرفا

ولست أرى هذا وما أشبهه استعارة، وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظهرٍ...»[٤].

وتبعه عبد القاهر الجرجاني يقول في «أسرار البلاغة»:

«اعلم أن الوجه الذي يقتضيه القياس عليه يدل كلام القاضي في الوساطة أن لا تطلق الاستعارة على نحو قولنا: «زيد أسد»، «وهند بدر»، ولكن تقول هو تشبيه فإذا قال قائل (هو أسدٌ» لم تقل استعار له اسم الأسد، ولكن تقول شبهه بالأسد»[٥].

---

(١) «الوساطة»: ص٣٥.

(٢) المصدر السابق: ص٤٠.

(٣) المصدر السابق: ص٤١.

(٤) المصدر السابق: ص٤١.

(٥) اسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، طبعة ريتر - استنبول، ص٢٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقبل أن يختم القاضي الجرجاني حديثه عن الاستعارة يعرفها، ويقول: «الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها. وملاكها تقريب الشبه، ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى، حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولايتبين في أحدهما إعراض عن الآخـــر»[١].

وهو بذلك يقترب من تعريف الآمدى لها، حيث يطلب فيها ظهور المناسبة بيِّنة بين المستعار له والمستعار منه، ويقول إن ملاكها الشبه، وكانوا من قبله يخلطون احياناً فيدخلون فيها صوراً من المجاز المرسل، وكأنه يحاول إخراجها وإذا عدنا أدراجنا إلى الاستعارة نجد أنه قد توسع فيها بعض الشيء في موضع آخر من وساطته، إذ يقول: «...فأما الاستعارة فهي أحد أعمدة النظم والنثر، وكانت الشعراء تجري على نهج منها قريب من الاقتصاد حتى استرسل فيه أبو تمام ومال إلى الرخصة. فأخرجه إلى التعدي، وتبعه أكثر المحدثين بعده»[٢].

ثم يشير إلى أن ما ذكره تالياً عن الاستعارة تكرار لما ذكره في بداية وساطته، ويقول: «وأكثر هذا الصنف من الباب الذي قدمت لك القول فيه وأقمت لك الشواهد عليه، وأعلمتك أنه يميز بقبول النفس ونفورها، وينتقد بسكون القلب ونبوه، وربما تمكنت الحجج من إظهار بعضه، واهتدت إلى الكشف عن صوابه أو غلطه»[٣].

وبذلك يبين أن الحكم على جودة الاستعارة أو قبحها يرتد إلى قبول النفس لها أو نفورها منها، وذلك أكثر من الحجج الدالة على جودتها أو قبحها.

ولا ريب أنه في ذلك يلتقي مع الآمدي الذي اعتمد الذوق في حكمه على الاستعارة في أغلب الأحيان.

ومن ثم ينتقل للحديث عن التجنس، فيجعله في خمسة أقسام:

١- التجنيس المطلق (الاشتقاق).
٢- التجنيس المستوفي (الكامل).
٣- التجنيس الناقص.
٤- التجنيس المضاف.

---

(١) اسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، طبعة ريتر - استنبول، ص٣٢.

(٢) «الوساطة»: ص٤٢٨ - ٤٢٩.

(٣) «الوساطة»: ص٤٢٨ - ٤٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- التجنيس الذي أسماه بالتصحيف.

أما النوع الأول فمن أمثلته التي يذكرها قول أبي تمام:[١]

تطل الطلول الدمع في كل موقف وتمثل بالصبر الديار المواثل.

والنوع الثاني مثاله قول أبي تمام: [٢]

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبدالله

ومثال على التجنيس الناقص، قول أبي تمام:[٣]

يمدون من أيد عواص عواصم تطول بأسياف قواض قواضب

ومن أنواع التجنيس التي يذكرها التجنيس المضاف، كقول البحتري:[٤]

أيا قمر التمام أعنت ظلماً علي تطاول الليل التمام.

وأما التصحيف فمثاله قول البحتري في المعتز بالله وبعض الخارجين عليه:[٥]

ولم يكن المغتر بالله إذ سرى ليعجز، والمعتز بالله طالبه.

حيث جانس بين المعتز والمغتر، بنقط العين وحذف نقطة الزاي، حتى بدت كلمة «المغتر» كأنها تصحيف لكلمة «المعتز».

ثم يعرض لفن المطابقة، فيقول: «وأما المطابقة فلها شعب خفية، وفيها مكامن تغمض، وربما التبست بها أشياء لا تتميز إلا بالنظر الثاقب، والذهن اللطيف»[٦]

ويمضي الجرجاني في بيان أقسامها، لا بالتحديد والتعريف، وإنما من خلال إيراده الشواهد عليها، فمن أقسامها ما جرى مجرى قول دعبل:[٧]

لا تعجبي يا سلم من رجلٍ ضحك المشيب برأسه فبكى

وقد عرف هذا القسم بـ«إيهام التضاد» لأن الضحك هنا يوهم المطابقة، لذلك

---

(١) «الوساطة»: ص٤٣.

(٢) انظر المصدر السابق: ص٤٢.

(٣) انظر المصدر السباق: ص٤٣.

(٤) انظر المصدر السابق: ص٤٤.

(٥) انظر «الوساطة»: ص٤٦.

(٦) «الوساطة»: ص٤٤.

(٧) «الوساطة»: ص٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سمي بـ«إيهام التضاد»[١]

ومن أقسامها عنده ما عبر عنه بقوله: «...وقد يجيء منه جنس أخر تكون المطابقة فيه بالنفي، كقول البحتري:

يقيض لي من حيث لا أعلم الهوى ويسري إلي الشوق من حيث أعلم

لما كان قوله: «لا أعلم» كقوله: أجهل، وكان قوله: أجهل مطابقة كان الآخر بمثابته. ومن أغرب ألفاظه وألطف ما وجد منه قول أبي تمام:

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل.

فطابق بـ «هاتا وتلك» وأحدهما للحاضر، والآخر للغائب.

فكانا نقيضين في المعنى وبمنزلة الضدين»[٢] وهو ما عرف عند المتأخرين بمطابقة السلب.

ثم ينتقل للحديث عن «التقسيم» بشيء من الموازنة والمقارنة فيذكر أنه قد يأتي التقسيم موصولاً، بحيث يقدم فيه الشاعر عن كل قسم قدماً ويرتفع عليه بدرجة، ومن ذلك قول زهير:[٣]

يطعنهم ما ارتَمْوا حتى إذا اطَّعَنوا ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا[٤]

حيث قسم البيت على أحوال الحرب ومراتب اللقاء، ثم وصل بكل قسم ما يليه في المعنى، فصار موصولاً به.

ثم يذكر مثالاً آخر تكون فيه القسمة غير مشفوعة، الأمر الذي جعل القاضي الجرجاني لا يسمح بتسميته تقسيماً، وهو قول النابغة:[٥]

فلله عينا من رأى أهل قبة أضر لمن عادى وأكثر نافعاً

وأعظم أحلاماً وأكرم سيداً وأفضل مشفوعاً إليه وشافعا

ويختم كلامهُ بالحديث عن «جمع الأوصاف» ويذكر منه قول النابغة

حديد الطرف والمنكـ ـب والعرقوب والقلب.

---

(١) نظر «معجم المصطلحات البلاغية وتطورها» : د.أحمد مطلوب، مطبوعات المعجم العلمي العراقي، ١٩٨٣م.

(٢) «الوساطة»: ص٤٥.

(٣) «الوساطة» : ص٤٦.

(٤) أي أنه إذا رمي الناس بعضهم بالنبل دخل هو تحت الرمي فجعل يطاعنها، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف، فإذا تضاربوا بالسيوف، اعتنق كل قرن قرنه والتزمه.

(٥) انظر «الوساطة» : ص٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما التشبيه فقد تناوله القاضي الجرجاني في ثنايا حديثه عن سرقات المتنبي المدَّعاة، حيث تكلم عن تشبيه الشيء بالشيء، واختلاف الشعراء في تشبيهاتهم، ومن ثم حديثه عن محاسن التشبيه.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الجرجاني لا يعد المعاني المشتركة والمتداولة سرقة، وهي التي يشترك فيها «الناطق والأبكم» والفصيح والأعجم ، والشاعر والمفخم»[١] كتشبيه الحسن بالشمس والبدر، والجواد بالغيث والبحر...، وما إلى ذلك من التشبيه العام المشترك.

وأما الصنف الثاني فهو التشبيه الخاص، وقد وصفه بقوله:

«وصفٌ سبق المتقدم إليه ففاز به ثم تدوول بعده فكثر وإستعمل، فصار كالأوَّل في الجلاء والاستشهاد، والاستفاضة على ألسن الشعراء، فحمى نفسه عن السَّرَق، وأزال عن صاحبه مذمة الأخذ»[٢] ثم يذكر شواهد شعرية تضمنت تشبيهات خاصة بأصحابها، ومنها قول امرئ القيس:[٣]

[يضيء سناه أو مصابيح راهبٍ أمال السليط بالذبال المفتَّل]

وفي معرض حديثه عن التشبيه نجده يقسمه إلى جانبين:

١- تشبيه بالصورة والصفة. ٢- تشبيه بالحال والطريقة.

ويعرض لهذين الجانبين في ثنايا كلامه عما أنكره العلماء من شعر المتنبي، حيث أورد قوله:[٤]

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه.

حيث حاول أن يفصل في قضية هذا البيت فقال: «إن التشبيه والتمثيل قد يقع تارة بالصورة والصفة، وأخرى بالحال والطريقة. فإذا قال الشاعر -وهو يريد إطالة وقوفه-: إني أقف وقوف شحيح ضاع خاتمه لم يرد التسوية بين الوقوفين في القدر والزمان والصورة، وإنما يريد لأقفن وقوفاً زائداً على القدر خارجاً عن حد الاعتدال، كما أن وقوف الشحيح يزيد على ما يعرف في أمثاله، وعلى ما جرت به العادة في أضرابه، وإنما هو كقول الشاعر:

رب ليلٍ أمد من نفس العاشق طولاً قطعته بانتحاب

---

(١) «الوساطة»: ص١٨٣ - ١٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص١٨٥.

(٣) انظر المصدر السابق : ص١٨٥.

(٤) انظر المصدر السابق : ص١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونحن نعلم أن العاشق بالغاً ما بلغ لا يمتد نفسه امتداد أقصر أجزاء الليل، وأن الساعة الواحدة من ساعاته لا تنقضي إلا عن أنفاس لا تحصى، كائنة ما كانت في امتدادها وطولها، وإنما مراد الشاعر أن الليل زائدٌ في الطول على مقادير الليالي كزيادة نفس العاشق على الأنفاس»[١].

ومن ثم يعرض لأغراض الشعراء من التشبيه، وهو بهذه النظرة الثاقبة إنما يفتح الباب لدراسة أوجه التشبيه وأغراضه.

ومن فنون البديع المعنوي أيضاً تحدث عن الالتفات، فذكر نوعاً منه وهو العدول عن ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب اعتماداً على ظهور المعنى، ومن أمثلته قوله تعالى:

«حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة»[٢]

وبذلك نرى أن القاضي الجرجاني قد عرض لأهم الأصول البلاغية، ووضح بعض جوانبها، وأضاف إليها إضافات تأثر بها وأفاد منها المتأخرون عنه في بحوثهم النقدية والبلاغية.

وقبل أن يخرج الجرجاني إلى المتنبي نراه يفيض في الحديث عن الشعراء القدماء والمحدثين وخاصة أبي نواس وأبي تمام، حيث يبين طائفة من أبياته التي أخذت عليه، ويطلب إلى الناقد له أن لا يستعجل في حكمه بالسيئة قبل الحسنة، وأن يسعى إلى الإنصاف والموضوعية، وأن يقيس جيد شعره برديئه، فإن كثر جيده. وجب عليه أن يعطيه حقه، فيذكر بعدها طائفة من تخلصه الحسن وابتداءاته الجيدة ومعانيه الفلسفية الدقيقة[٣].

وقبل أن ينتقل إلى سرقات المتنبي، بين إلى أن باب السرقات لا ينهض به إلا الناقد البصير[٤]، الذي ينبغي عليه أن يفرق بين أصنافها وأقسامها، كالتفريق بين السرق والغصْب، والإغارة والاختلاس، وهو في ذلك يقسم السرقة إلى نوعين:

١- سرقة معانٍ ٢- سرقة ألفاظ.

ومن ثم يتحدث عن السرقة الممدوحة، ومدى تفنن الشعراء فيها، وبعد أن ينتهي من عرضه للسرقات عند الشعراء، وقبل أن يتحدث عن سرقات المتنبي،

---

(١) «الوساطة»: ص٤٧١.

(٢) سورة يونس: الآية ٢٢. «الوساطة»: ص٤٤٨.

(٣) انظر المصدر السابق : ص٥٥ وما بعدها.

(٤) انظر المصدر السابق : ص١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نراه يعتذر لمعاصريه عن كثرة سرقاتهم، وذلك بسبب استغراق من تقدمهم في المعاني والسبق إليها. فيقول: «ومتى أنصفت علمت أن أهل عصرنا، ثم العصر الذي بعدنا أقرب فيه إلى المعذرة، وأبعد إلى المذمة، لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها، وأتى على معظمها، وإنما يحصل على بقايا: إما أن تكون تركت رغبة عنها واستهانة بها أو لبعد مطلبها واعتياص مرامها، وتعذر الوصول إليها...»[١].

وبذلك يحدد القاضي الجرجاني للناقد ما ينبغي عليه أن يلم به قبل أن يحكم في السرقات الشعرية، إذ ينبغي عليه الإحاطة بأنواع السرقات، والمسموح منها.

ثم يخرج القاضي الفاضل للحديث عن سرقات المتنبي خاصة، ومن ذلك مثلاً قول العباس بن الأحنف:

بكت غير آنسة بالبكا ترى الدمع في مقلتيها غريبا[٢]

أبو الطيب:

أتتهنَّ المصائب غافلات فدمع الحزن في دمع الدلال[٣]

فيعلق الآمدي على ذلك بقوله: «فزاد وأحسن وملح بذكر الدلال»[٤]

ويمضي الجرجاني في تتبع سرقات المتنبي ويدافع عنه، محاولاً تخريجها كل مخرج، دون أن يتجاهل ما هو ظاهر السرقة، وهو قليل نسبياً، وفقاً للمقاييس التي وضعها الجرجاني في حكمه عليها.

وينتقل بعدها للحديث عن أخطائه في الألفاظ والمعاني، فيذكر الكثير من أخطائه التي لم يجد لها عذراً، ويقول: «...وأبيات أبي الطيب عندي غير مستكرهة في قسم الجواز، وقد بلغ هذا المحتج مبلغاً، غير أن أبا الطيب عندي غير معذور بتركه الأمر القوي الصحيح إلى المشكل الضعيف الواهي لغير ضرورة داعية ولاحاجة ما سة...»[٥].

وبذلك يتضح أن الجديد الذي أتى به القاضي الجرجاني في حديثه عن السرقات الشعرية، هو اعتباره أن المعنى المشترك الذي يضيف إليه الشاعر شيئاً

---

(١) أنظر «الوساطة» : ص٢١٤ - ٢١٥ .

(٢) «الوساطة»: ص٢٢٨.

(٣) المصدر السابق: ص٢٢٨.

(٤) المصدر السابق: ص٢٢٨.

(٥) المصدر السابق: ص٤٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جديداً. يصبح من حق صاحبه لا من حق سابقه، كما أنه قد سار في حديثه عن السرقات الشعرية على ذات التقسيم الذي اتبعه الآمدي في موازنته من حيث أن هناك معاني مشتركة مبتذلة لا يصح أن تكون لشاعر دون آخر. وكذلك هناك معاني اختارها الشعراء السابقون، فأصبحت من حقهم، لابتداعهم إياها واختراعها. وأما الصنف الثالث فيشمل المعاني المحوَّرة المجددة، والتي ترجع إلى الشعراء الأوائل، إذ إن للشاعر حق تجديدها وتحويرها في شعره.

وبذلك فإن السرقة تكون في المعنى البديع الذي لم يجر عليه تغيير أو تعديل.

ومما سبق يتضح بأن الوساطة والموازنة توأمان في دراسة الشعر ونقده، مع ملاحظة زيادة الموازنة على الوساطة بالموازنة بين النصوص بشكل واضح[1].

---

(١) انظر «تاريخ النقد العربي» : د. محمد زغلول سلام، دار المعارف - مصر، ١٩٦٤م، ص٢٣٣-٢٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اتجاهات البيان القرآني في رسالتي الرماني والخطابي

قبل أن نفصل الحديث في اتجاهات البيان القرآني عند الرماني والخطابي، لا بد من الإشارة إلى أن البحث البلاغي قد تأثر بمدرستين أو طريقتين، هما:

١- طريقة الأدباء.

٢- طريقة المتكلمين.

أما الأولى فتقوم على الإكثار من الشواهد الأدبية والإقلال من الأقسام والقواعد والتعاريف، لذا فإنها من الناحية النقدية تعتمد على إبراز الجمال والذوق الفني بعيداً عن تصحيح الأقسام والنظر المنطقي. الأمر الذي جعلها تبتعد عن أصول الفلسفة من خلقيات أو غيرها

بينما تقوم الطريقة الثانية على الإكثار من الجدل والمناقشة وتحديد الألفاظ والإسراف في التعاريف والقواعد والأقسام، مع الإقلال من الشواهد الأدبية، إذ تميل إلى التقسيم والإشراف فيه أكثر من التحليل، وهذا ما جعلها تبتعد عن الاهتمام بالناحية الفنية في التراكيب وتقدير المعاني الأدبية، بل تميل إلى الاعتماد على القواعد المنطقية والأصول الفلسفية في الحكم الأدبي، دون اكتراث بمعاني الجمال وقضايا الذوق الفني.[١]

وإذا ما عدنا إلى كتاب «الصناعتين» نجد أن أبا هلال العسكري قد أشار إلى وجود هاتين المدرستين في نهاية الفصل الأول من الباب الأول تحت عنوان «في الإبانة عن موضوع البلاغة في اللغة وما يجري معه من تصرف لفظها، والقول في الفصاحة وما يتشعب منه»، حيث يقول:

---

(١) أنظر في تحليل الطريقتين كتاب «مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب»: أمين الخولي، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٩٦١م، ص١٥١ - ١٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين، وإنما قصدت فيه مقصد صناع الكلام من الشعراء الكتاب، فلهذا لم أطلِ الكلامَ في هذا الفصل»[١]

فيتضح من كلام أبي هلال أنّ المتكلمين هم أهل العناية بتحديد الموضوعات وتقسيمها وتشعيبها، ونراه كذلك في موضع آخر من كتابه يشير إلى ميزةٍ أخرى للمدرسة الأدبية، والتي وصفها بمدرسة صناع الكلام، إذ يقول:

«ثم نورد ها هنا شيئاً من غرائب التشبيهات وبدايعها ليكون مادة لمن يريد العمل برسمنا في هذا الكتاب»[٢] وذلك بعد أن أورد الكثير من الشواهد قبل هذا، إذ يتضح من كلامه ميلهم إلى الإكثار من الشواهد.

اتجاه البيان القرآني في رسالة الرماني:

من الثابت أنّ الرماني كان معتزلياً متكلماً إذ اهتم بالفلسفة والمنطق منذ نشأته، فظهرت ثقافته الاعتزالية في مصنفاته، والذي يعنينا من تلك المصنفات رسالته «النكت في إعجاز القرآن».

وكما ذكرنا سابقاً فإن المتكلمين يكثرون من البحث في التعاريف والحدود والأقسام، ويظهر ذلك جلياً في جوانب متعددة من رسالته، «فقد عَرف شيئاً من قسمة بعض الباحثين اليونانيين للأسلوب في ثلاثة أنواع:

---

(١) كتاب «الصناعتين، الكتابة والشعر»: أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبوالفصل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٩٨٦م، ص٩.

(٢) المصدر السابق: ص٢٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رفيع، ومتوسط، وعادي، فنقل هذه القسمة إلى البلاغة»[١].

ففي حديثه عن البلاغة فإنه يجعلها في ثلاث طبقات:

عليا، ودنيا، ووسطى، والأولى معجزة لأنها تتمثل في بلاغة القرآن وما دونها ممكن، حيث يقول في ذلك:

«فأما البلاغة فهي على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس...»[٢].

يشير الرماني في ذلك إلى ما عرف عند البلاغيين بالسلم البلاغي، الذي يبدأ بطبقة القرآن الكريم، وهي المعجزة وينتهي بكلام الموسوسين من الحمقى والمجانين، ولذلك فإن الرماني قد نقل التقسيمات السابقة إلى البلاغة العربية خدمة منه للإعجاز القرآني.

واهتمام الرماني في الإكثار من التقسيمات يبدو ظاهراً في حديثه عن الإيجاز، إذ يبدأ الباب بتعريف الإيجاز بأنه: «تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى»[٣] ثم يقسم الإيجاز إلى قسمين: حذف وقِصَر. وبعد تحديده لكل من القسمين، وسوقه الشواهد القرآنية، يجعل الإيجاز على وجهين: «أحدهما إظهار

---

(١) «تاريخ النقد الأدبي عند العرب»: د. إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان - الأردن، ١٩٩٣م، ص٣٣٢.

(٢) «النكت في إعجاز القرآن» : ص٦٩.

(٣) المصدر السابق :ص٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النكتة بعد الفهم لشرح الجملة، والآخر إظهار المعنى بأقل ما يمكن من العبارة»[١]

ومن ثم يجعل الإيجاز على ثلاثة أوجه: «الإيجاز بسلوك الطريق الأقرب دون الأبعد، وإيجاز باعتماد الغرض دون ما تشعب وإيجازٌ بإظهار الفائدة بما يستحسن دون ما يستقبح...»[٢].

«ولتحقيق رأيه في الإيجاز، واطمئنانه لما قدّم، يلح في إيراد أكثر من تعريف للإيجاز وهذه وإن كانت جميعاً تتعاطف، إلا أنها في صور قولية متنوعة.

«وهذا الذي يشفع له بالتكرار، وهذه سمة من سمات قدرة الرماني على إظهار المعنى الواحد في عدة صيغ، وفي أكثر من طريقة، وهذه إشارة من إشارات التفاعل الناضج بين صاحب العمل وما ينتج»[٣]، لذا نراه يقول:

«والإيجاز تهذيب الكلام بما يحسن به البيان، والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الدرن، والإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ، والإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير، والإيجاز والإكثار إنما هما في المعنى الواحد»[٤].

وفي باب التلاؤم[٥] يعرض الرماني إلى معنى التلاؤم، وهو تعديل الحروف في التأليف، وهو نقيض التنافر، ويورد مثالاً على التنافر، أي تنافر الحروف، وتمثل لذلك بقول الشاعر:

وقَبرُ حربٍ بمكانٍ قَفْرٍ ___ وليسَ قُربَ قبرِ حربٍ قبرُ

(١) «النكت في إعجاز القرآن»: ص٧٣.

(٢) المصدر السابق: ٧٣.

(٣) «في إعجاز القرآن»: ص٦٣.

(٤) «النكت في إعجاز القرآن»: ص٧٣ - ٧٤.

(٥) انظر المصدر السابق: ص٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعليق الرماني عليه: «إنّه من أشعار الجنّ، لأنه لا يتهيأ لأحد أنْ ينشده ثلاث مرات فلا يَتَتَعْتَعُ، وإنما السببُ في ذلك ما ذكرنا من تنافر الحروف».[1]

وهذا التنافر يرجع إلى الناحية المعنوية، إذ السبب فيه ما ذكره الخليل بن أحمد (ت١٨٣هـ) من البعد الشديد أوالقرب الشديد، وبهذا يكون التلاؤم في التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديدٍ.[2]

وهذه نظرية المعتزلة في قولهم: المنزلة بين المنزلتين واختيار أواسط الأمور، وهي نظرية تأثر بها الرماني وأفاد بها في اعتدال الحروف والكلمات بعضها مع بعض.

وتبرز ثقافة الرماني الاعتزالية أيضاً في باب التصريف وذلك بلجوئه إلى الناحية الرياضية في التصريف، إذ يضرب مثلاً لذلك قائلاً:

«إن الأشياء على وجهين: منها ما لا يدخل تحت الممكن فيه معارضة، ومنها ما يدخل تحت الممكن، فالأول كالتحدي بعدد يضرب في عدد فيكون منه خمسة وعشرين غير خمسة في خمسة، وكذلك التحدي في قسمة المقادير أنّه لا يخلو مقداران من أنْ يكون أحدهما أزيد من الآخر أو أنقص أو مساوياً.

فإذا قال قائل: هاتو مثل هذه القسمة في غير المقادير، قلنا لا يلزم ذلك، لأنه تحت الممكن.

وكذلك سبيل الجذور، ولو قال جذر مائة عشرة فهاتو لها جذراً غير العشرة وليس كذلك سبيل أعلى الطبقات في البلاغة، لأن الذي قدر على أنْ يأتي بسورة آل عمران، والذي قدر على المائدة، هو الذي قدر على الأنعام، وهو الله عز وجل الذي يقدر أن يأتي بما شاء من مثل القرآن، فظهور الحجاج على الكفار بأن أتى

(١) «النكت»: ص٨٨، ٨٩.

(٢) انظر المصدر السابق: ص٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في المعنى الواحد بالدلالات المختلفة فيما هو من البلاغة في أعلى طبقة»[١].

والرماني في لجوئه إلى الناحية الرياضية سالفاً إنما يقصد إلى غاية عليا، وهي تبيان إعجاز القرآن الكريم من خلال التصريف، وغيره من الأبواب.[٢]

وفي باب التضمين[٣] نراه كعادته في غيره من الأبواب السابقة - وخاصة الإيجاز - «يكثر من الحدود والتعريفات الجزئية معتمداً أيضاً أسساً مختلفة في التقسيم»[٤] إذ يبدأ الباب بتعريف التضمين بأنه: «حصول على معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه»[٥].

ثم يجعل التضمين على وجهين:

الأول: ما يدل عليه الكلام دلالة الإخبار.

والثاني: ما يدل عليه دلالة القياس.

ويقول أيضاً: «والتضمين على وجهين، تضمين توجبه البنية، وتضمين يوجبه معنى العبارة من حيث لا يصح إلا به، ومن حيث جرت العادة بأن يعقد به...»[٦].

والرماني في الباب السابق «شأنه في بعض الأبواب التي تقدمت ومنها الإيجاز، ويبدو أنه يلجأ هنا إلى هذه الطريقة ليقدم ما يريد بأكثر من وسيلة، وكأن الرماني أستاذ يعرض درسه في أكثر من طريقة، ليستوعب منه أكبر قدر من الطالبين للمعرفة والمستفيدين من درسه.

---

(١) «النكت في إعجاز القرآن» : ص٩٤.

(٢) انظر «في إعجاز القرآن الكريم»: ص٨٢.

(٣) أنظر رسالة النكت في إعجاز القرآن: ص٩٤.

(٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ص٣٣٢.

(٥) النكت في إعجاز القرآن: ص٩٤.

(٦) المصدر السابق: ص٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه نظرة تعليمية قد مهرها المعتزلة، وانتفع بها الرماني في تأليفه،»[١].

«ونلاحظ مما تقدم أن الرماني يبدأ بتعريف الباب، ثم يحدد مجاله، وهذه لفتة تعين الباحثينن على أنْ يتمثلوها في بحوثهم، حتى لا يضلوا المقصد أو يبتعدوا عن موضوعهم»[٢].

«وقد قسم الرماني البلاغة في عشرة أقسام هي:

الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان، وأفرد لكل نوع فصلاً على حدة.

ومن الواضح أنّ هذه القسمة لأنواع البلاغة تنتمي إلى مصادر مختلفة، فبعضها في الصورة، وبعضها في النظم... ويتفاوت شرح الرماني لهذه الأقسام العشرة، كما تتفاوت قدرته في تطبيقها على القرآن.

فبينما نجده على خير أحواله عند الحديث عن الإيجاز والتشبيه والاستعارة، واثقاً من نفسه مكثراً من الأمثلة، نجد حديثه في التلاؤم عاماً لا تطبيق فيه، وكذلك هو حديثه في التضمين والتصريف»[٣].

والإكثار من الشواهد القرآنية يبدو جلياً في باب التشبيه، إذ يقول: «التشبيه على وجهين:

تشبيه بلاغة وتشبيه حقيقة. فتشبيه البلاغة كتشبيه أعمال الكفار بالسراب. وتشبيه الحقيقة نحو: هذا الدينار كهذا الدينار فخذ أيهما شئت»[٤].

---

(١) في إعجاز القرآن الكريم: ص٨٣.

(٢) المصدر السابق: ص٨٩.

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ص٣٣٢ - ٣٣٣.

(٤) «النكت في إعجاز القرآن» : ص٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحتى تتضح صورة البيان القرآني عند الرماني أورد الآيات التي أوردها الرماني في باب التشبيه، مبيناً ما فيها من البيان القرآني ومنها قوله تعالى: «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً»[١].

«والسراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري. والقيعة بمعنى القاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الأرض... شبه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء، فيأتيه فلا يجد ما رجاه»[٢].

«ولو قيل يحسبه الرائي ماء ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر لكان بليغاً، وأبلغ منه لفظ القرآن، لأن الظمآن أشد حرصاً عليه وتعلق قلب به... وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه، فكيف إذا تضمنت مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة، وصحة الدلالة»[٣].

ويقول تعالى: «مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء»[٤].

والرماني في رسالته يشير إلى أن البيان في هذه الآية يتمثل في إخراج ما

---

(١) سورة النور: الآية ٣٩. «النكت في إعجاز القرآن» : ص٧٥.

(٢) «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل»: الزمخشري محمود بن عمر (ت٥٣٨)هـ، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م، المجلد الثالث، ص٦٩.

(٣) «النكت في إعجاز القرآن» : ص٧٥ - ٧٦.

(٤) سورة ابراهيم: الآية ١٨. المصدر السابق: ص٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تقع عليه الحاسه إلى ما تقع عليه، فقد اجتماع المشبه والمشبه به في الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات، وفي ذلك الحسرة العظيمة والموعظة البليغة.[١]

ثم يذكر الرماني بعد ذلك شاهداً قرآنياً آخر على بيان إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه في قوله تعالى: «واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها»[٢] ثم قال: «فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث»[٣].

فالمشبه والمشبه به اجتمعا في ترك الطاعة على وجه من وجوه التدبير وفي التخسيس، فالكافر لا يطيع بالإيمان سواء أكان ذلك بالموعظة أم بالعنف والكلب لا يطيع في ترك اللهث، حملت عليه أو تركته.[٤]

وقال تعالى: «والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلاّ كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه»[٥].

ففي هذه الآية زجر عن الدعاء إلا لله عز وجل الذي يملك النفع والضرر، حيث شبه قلة جدوى دعائهم (الكفار) لألهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما فلم تلق كفاه منه شيئاً ولم يبلغ طلبته من شربه، وهو بيان أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه.

وقال عز وجل: «إنما مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلنَاه مِنَ السماءِ فاختلط به

(١) انظر «النكت» : ص٧٦.

(٢) سورة ابراهيم: الآية ١٨. انظر المصدر السابق: ص٧٦.

(٣) سورة الأعراف: الأية ١٧٦. المصدر نفسه: ص٧٦.

(٤) انظر «الكشاف» : المجلد الثاني، ص١٣٠و١٣١.

(٥) سورة الرعد: الآية ١٤. «النكت في إعجاز القرآن»: ص٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نبات الأرض»[١].

«وهذا بيان قد أخرج مالم تجربه عادة إلى ما قد جرت به،[٢] حيث شبه حال الدنيا في سرعة انقضائها وزوالها وزوال نعيمها وزينتها بحال نبات الأرض في جفافه بعدما زين الأرض بخضرته[٣] والمشبه به في الزينة والبهجة ثم الهلاك بعده، وفي ذلك العبرة لمن اعتبر، والموعظة لمن تفكّر في أنّ كلّ فانٍ حقير وإن طالت مدته، وصغير وإن كبر قدره»[٤].

وقال عز وجلّ: «إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحسٍ مُستَمر تنزعُ النّاس كأنّهم أعجاز نخل منقعر»[٥].

ففي هذه الآية تشبيه لقوم عاد وهم يتساقطون على الأرض أمواتاً وهم جثث طوال عظام بفعل الرياح العاتية بأعجاز النخل المنقلعة عن مغارسها، وهو بيان أخرج مالم تجربه عادة إلى ما قد جرت به، وفي ذلك بيان لقدرة اللّه عز وجل وتخويف من عقوبته.

وقال عز وجل «فإذا انشقت السماء فكانت وردةً كالدهان»[٦].

وفي هذه الآية أيضاً تشبيه قد أخرج مالم تجربه عادةً إلى ما قد جرت به، حيث شبه السماء لونها في حالة انشقاقها بالوردة، حيث يرى الزمخشري في

---

(١) سورة يونس: الآية ٢٤.المصدر السابق: ص٧٦ - ٧٧.

(٢) «النكت في إعجاز القرآن» : ص٧٧.

(٣) انظر «الكشاف» : المجلد الثاني، ص٢٣٣.

(٤) «النكت في إعجاز القرآن» : المجلد الثاني، ص٧٧.

(٥) سورة القمر: الآية ١٩و٢٠.المصدر السابق: ص٧٧.

(٦) سورة الرحمن: الآية ٣٧.«النكت في إعجاز القرآن» : ص٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تفسيره أنّ المقصود بالوردة هنا الحمراء،[١] وهذا يعني اجتماع دلالة على عظم الشأن ونفوذ سلطان اللّه عز وجل.

وقال عز وجل: «اعلموا أنّما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ وتكاثرٌ في الأموال والأولاد كمثل غيثٍ أعجبَ الكفّار نباته»[٢].

ففي هذه الآية تحذير من الحياة الدنيا والاغترار بها ثم في التغيير بالانقلاب، والتشبيه هنا من ذات التشبيه الوارد في الآية السابقة من حيث إخراج مالم تجربه عادة إلى ما قد جرت به.

وقال تعالى: «وجنّةٍ عرضُها كعرض السماء والأرض»[٣].

«فهذه تشبيه قد أخرج مالا يُعلم بالبديهة إلى ما يُعلَم، وفي ذلك البيان العجيب بما قد تقرر في النفس من الأمور، والتشويق إلى الجنة بحسن الصفة مع مالها من السعة، وقد اجتمعا[٤] في العظم»[٥].

وقال عز وجل: «مثل الذين حُمّلوا التوراة ثمّ لم يحملوها كمثلِ الحمار يحمل أسفاراً»[٦].

في هذه الآية شبه اليهود في حملهم التوراة وحفظ ما فيها ثم إنهم غير عاملين بها ولامنتفعين بآياتها بالحمار الذي يحمل أسفاراً (كتباً) دون أن يدري منها إلا ما يمر بجنبيه، فكلاهما اجتمعا في الجهل بما حملا، «وهو تشبيه قد

---

(١) انظر «الكشاف»: المجلد الرابع ص٤٨.

(٢) سورة الحديد: الأية ٢٠.«النكت في إعجاز القرآن» : ص٧٧.

(٣) سورة الحديد: الأية ٢١.المصدر السابق: ص٧٧.

(٤) المشبه والمشبه به.

(٥) «النكت في إعجاز القرآن» : ص٧٧.

(٦) سورة الجمعة: الأية٥. المصدر السابق: ص٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة»[١].

ونوع التشبيه في هذه الآية من نوع التشبيه في الآية السابقة، حيث اجتمع المشبه والمشبه به في خلو الأجساد من الأرواح، وفي ذلك تحقير لكل من يصير به الأمر إلى ذلك الحال[٢].

وقال عز وجل: «مثل الذين اتخذوا من دون اللّه أولياء كمثل العنكبوت»[٣].

وقد فَسَّرَ الزمخشري الآية السابقة بقوله: «الغرض تشبيه ما اتخذوه مُتَّكَلاً ومعتمداً في دينهم، وتولّوه من دون اللّه بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت»[٤] فقد اجتمع المشبه والمشبه به في ضعف المعتمد والمتكل عليه، وفي ذلك تحذير «من حمل النفس على الغرور بالعمل على غير يقين، مع الشعور بما فيه من التوهين»[٥].

وقال عز وجل: «وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام»[٦]

وفي هذه الآية تشبيه قد أخرج ما لاقوة له في الصفة «الفلك الجارية» إلى ماله قوة فيها «الجبال»، حيث شبه الفلك الجارية في البحر في عظمتها بالجبال، فكلاهما[٧] اجتمعا في العظم، وذلك حتى يتخذها الإنسان عبرة من جهة قدرة اللّه فيما سخره لنا من الفلك الجارية مع عظمها، وما يتحقق بها من نفع شامل.

---

(١) «النكت في إعجاز القرآن» : ص٧٨.

(٢) انظر في تفسيرها «الكشاف» : المجلد الرابع: ص١٥٠.

(٣) سورة العنكبوت: الأية ٤١. «النكت في إعجاز القرآن» : ص٧٨.

(٤) «الكشاف»: المجلد الثالث: ص٢٠٦.

(٥) «النكت في إعجاز القرآن»: ص٧٨.

(٦) سورة الرحمن: الأية٢٤. المصدر السابق: ص٧٨.

(٧) المشبه والمشبه به.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال عز وجل: «خلق الإنسان من صلصال كالفخار»[١].

وهذا تشبيه أيضاً قد أخرج مالا قوة له في الصفة (الإنسان) إلى ماله القوة (الفخار)، والجامع بينهما الرخاوة والجفاف.

وقال عز وجل: «أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله»[٢].

وفي الآية السابقة استفهام إنكاري، حيث إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبته وأن يسوى بينهم[٣]، «وهو بيانٌ عجيب، وقد كشفه التشبيه بالإيمان الباطل والقياس الفاسد، وفي ذلك الدلالة على تعظيم حال المؤمن بالإيمان، وأنّه لا يساوى به مخلوق على صفته في القياس»[٤].

ومثله قوله تعالى: «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات...»[٥].

ففي هذه الآية أيضاً إنكار أن يستوى المسيئون والمحسنون في الحياة أو الممات وذلك لاختلاف أحوالهم أحياءً وأمواتاً.

ومن خلال تتبعنا للشواهد القرآنية السابقة نلحظ أن الرماني قد ساقها في باب واحد وهو باب التشبيه، وبذلك يتضح لنا أنه يغلب عليه في ذلك الباب كما هو حاله في باب الإيجاز والاستعارة - سمات أصحاب الطريقة أو المدرسة الأدبية التي تمتاز بكثرة الشواهد إلى درجة الإسراف، مع الإقلال من البحث في التعاريف

(١) سورة الرحمن: الأية ١٤. المصدر السابق: ص٧٨.

(٢) سورة التوبة: الأية ١٩. «النكت في إعجاز القرآن» : ص٧٨.

(٣) انظر «الكشاف»، المجلد الثاني: ١٨٠٢.

(٤) «النكت في إعجاز القرآن» : ص٧٨ - ٧٩.

(٥) سورة الجاثية: أية ٢١. المصدر السابق: ص٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأقسام والفروع .

بينما نجده في باب التضمين يهتم بالتعاريف والحدود والأقسام - كما ذكرنا- دون أن يذكر شاهداً واحداً على الأقل من القرآن الكريم. كما هو شأنه في باب التصريف وغيره من الأبواب التي تناولها في رسالته.

وبذلك نرى أن الرماني تأثر بمذهب المناطقة والفلاسفة في درسه للبيان القرآني، إلا أنه لم يغلب عليه ذلك لدرجة التعقيد والغموض في المعاني والتراكيب، إذ أخذ من طرائق الفلاسفة ومعالم المناطقة ما يمكن استخدامه وتوظيفه في بيان الإعجاز القرآني.

كما يتضح لنا أن المتكلمين قد اهتموا بدراسة البيان القرآني بوصفه جانباً من جوانب الإعجاز القرآني وذلك للوصول إلى معرفة معانيه وأحكامه وأساليبه وتعابيره من أجل الاستدلال بها لإثبات هذا الإعجاز، ولدحض حجج منكريه[1].

اتجاه البيان القرآني في رسالة الخطّابي:

سار الخطابي في رسالته «بيان إعجاز القرآن» على الطريقة نفسها التي سار عليها الرماني في قسمته لأجناس الكلام، حيث جعلها في ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: وتضمُّ الكلام البليغ الرصين الجزل.

المرتبة الثانية: وتضمُّ الكلام الفصيح القريب السهل.

المرتبة الثالثة: وتضمُّ الجائز الطلق الرسل.

ثم يبين الخطابي موقع بلاغة القرآن من هذه الأقسام والمراتب، فيرى بأنها

---

(١) انظر «البيان العربي» : د. بدوي طبانه، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة ١٩٦٢م، ص٥٢-٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد أخذت من كل قسم حصة بخلاف ما ورد عند الرماني، إذ جعل الرماني بلاغة القرآن مقصورة على النوع الأول وحده، حيث يقول الخطابي في ذلك:

«فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه، والقسم الثاني أوسطه وأقصده، والقسم الثالث أدناه وأقربه، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع من أنواعها شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة»[1].

ثم يبين الخطابي أن الكلام يقوم بثلاثة أشياء: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وقد وردت هذه الفضائل في القرآن الكريم في غاية الشرف والفضيلة، كما أنّ هذه الفضائل قد توجد متفرقة في أنواع الكلام، ولا توجد مجموعة في نوع واحد منه إلا في كلام الله عز وجل، حيث يقول:

«وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام، فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد فلم توجد إلا في كلام العليم القدير»[2].

ومما تقدم يلاحظ بأن الخطابي يُعنى بالناحية الفنية في خصائص التراكيب، وتقدير المعاني الأدبية، ويتضح ذلك بشكل جلي في تناوله للألفاظ المتشابهة في المعنى مثل (الشح والبخل...الخ)، وبيانه أنّ اللفظة الواحدة تصلح في موضع لا تصلح فيه الأخرى، حيث إنها إذا ما تغيرت وتبدلت عن موضعها الأخص بها فسد الكلام وذهب بريقه ورونقه، فيقول:

«ثمّ اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا

---

(١) «بيان إعجاز القرآن» ص٢٣ - ٢٤.

(٢) المصدر السابق: ص٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل، والشح، وكالنعت والصفة، وكقولك: أقعد واجلس، وبلى ونعم، وذلك وذاك، ومنْ وعن، ونحوهما من الأسماء والأفعال والحروف والصفات»[١].

ثم يمضي الخطابي بعد ذلك بلمح الفروق الدقيقة بين تلك الألفاظ، وفقاً لورودها في سياق لغوي معين دون آخر، ومن الأمثلة على ذلك بيانه الفرق بين (بلى ونعم) حيث يقول:

«وأما قولك: بلى ونعم فإنّ بلى جواب عن الاستفهام بحرف النفي كقول القائل: ألم تفعل كذا؟ فيقول صاحبه: بلى، كقوله عز وجل:

«ألستُ بربّكم قالوا بلى»[٢]، وأما نعم فهو جواب عن الاستفهام نحو هل، كقوله سبحانه: «هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا قالوا نعم»[٣].

وقال الفراء بلى لا يكون إلا جواباً عن مسألة يدخلها طرف من الجحد، وحُكي عنه أنّه قال: لو قالت الذُّريّة عندما قيل لهم ألست بربكم؟ نعم، بدل قولهم بلى لكفروا كلهم»[٤].

ثم يبين الخطابي بعد ذلك أن العبارات الواقعة في القرآن الكريم، إنما

---

(١) «بيان إعجاز القرآني»: ص٢٦.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٤٤. المصدر السابق: ص٢٨.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٤٤. المصدر السابق: ص٢٨.

(٤) «بيان إعجاز القرآن»: ص ٢٨ - ٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقعت في أفصح وجوه البيان وأحسنها، داحضاً رأي من يقول بعكس ذلك، وذلك بعد عرضه لآرائهم واعتراضاتهم والتي منها قوله تعالى: «وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم»[١] حيث يقولون في تلك الآية: «والمشي في هذا ليس بأبلغ الكلام، ولو قيل بدل ذلك أن أمضوا وانطلقوا لكان أبلغ وأحسن»[٢].

وكذلك في قوله تعالى: «هلك عنيّ سلطانية»[٣] إذ يرون أن «لفظ الهلاك في الأعيان والأشخاص كقوله: هلك زيد، وهلك مال عمرو ونحوهما، فأما الأمور التي هي معان وليست بأعيان ولا أشخاص فلا يكادون يستعلمونه فيها. ولو قال قائل: هلك عن فلان علمه أو هلك جاهه على معنى ذهب علمه وجاهه لكان مستقبحاً غير مستحسن»[٤].

فيردّ الخطابي عليهم مفنداً تأويلاتهم بتفسيره الآيات القرآنية تفسيراً دقيقاً ينم عن ذوق رفيع، ودراية بالفروق الدقيقة لألفاظ اللغة، فيقول: «الجواب أنّ القول في وجود ألفاظ القرآن وبلاغتها على النعت الذي وصفناه صحيح لا ينكره إلا جاهل أو معاند، وليس الأمر في معاني هذه الآي على ما تأولوه، ولا المراد في أكثرها على ما ظنوه وتوهموه... وأما قوله سبحانه:

«أنِ امشوا واصبروا على آلهتكم»[٥]، وقول من زعم أنّه لو قيل بدله: امضوا وانطلقوا كان أبلغ على الأمر على ما زعمه، بل المشي في هذا المحل أولى وأشبه بالمعنى، وذلك لأنه إنّما قصد به الاستمرار على العادة الجارية،

(١) سورة ص: الآية ٦. «بيان إعجاز القرآن»: ص٣٤.

(٢) المصدر السابق: ص٣٤.

(٣) سورة الحاقة: الآية ٢٩. المصدر السابق: ص٣٥.

(٤) المصدر السابق: ص٣٤.

(٥) سورة ص: الآية ٦. المصدر السابق: ص٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولزوم السجية المعهودة في غير انزعاج منهم، ولا انتقال عن الأمر الأول، وذلك أشبه بالثبات والصبر المأمور به في قوله: «واصبروا على آلهتكم»[١]، والمعنى كأنهم قالوا: امشوا على هينتكم وإلى مهوى أموركم، ولا تعرّجوا على قوله، ولا تبالوا به، وفي قوله: أمضوا وانطلقوا زيادة انزعاج ليس في قوله امشوا، والقوم لم يقصدوا ذلك ولم يريدوه، وقيل:

بلى المشي هاهنا معناه التوفر في العدد والاجتماع للنصرة دون المشي الذي هو نقل الأقدام، من قول العرب:مشى الرجل إذا كَثُرَ ولده. وانشدوا:

والشاةُ لا تمشي على الهَمَلَّعِ

أي لا يكثر نتاجها، والهملّع الذهب. وأمّا قوله سبحانه: «هلك عنّي سلطانيهْ»[٢] وزعمهم أنّ الهلاك لا يستعمل إلا في تلف الأعيان فإنهم ما زادوا على أنْ عابوا أفصح الكلام وأبلغه وقد تكون الاستعارة في بعض المواضع أبلغ من الحقيقة كقوله عز وجل: «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار»[٣]. والسلخ هاهنا مستعار، وهو أبلغ منه لو قال نخرج منه النهار، وإنْ كان هو الحقيقة. وكذلك قوله سبحانه: «فاصدع بما تؤمر»[٤] هو أبلغ من قوله: فاعمل بما تؤمر، وإن كان هو الحقيقة والصدع مستعار، وإنما يكون ذلك في الزجاج ونحوه من فلق الأرض ومعناه المبالغة فيما أمر به حتى يؤثر في النفوس والقلوب تأثير الصدع في الزجاج ونحوه، وكذلك قوله سبحانه: «هلك عني سلطانهْ»[٥] وذلك أن الذهاب قد

(١) سورة ص: الآية ٦.«بيان إعجاز القرآن»: ص٠٤.

(٢) سورة الحاقة: الآية ٢٩. المصدر السابق: ص٠٤.

(٣) سورة يس: الآية ٣٧. المصدر السابق: ص ٤٠.

(٤) سورة الحجر: الآية ٩٤. المصدر السابق: ص٠٤.

(٥) سورة الحاقة: الآية ٢٩. المصدر السابق: ص٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكون على مراصدة العود، وليس مع الهلاك بقيا ولا رجعى، وقد قيل إنّ معنى السلطان هاهنا الحجة والبرهان»[١].

مما سبق يتضح لنا بأنّ الخطابي يهتم بالذوق الأدبي، مع تأثره بشكل غير مباشر بأساليب علماء المنطق الذين يعمدون إلى ربط النتائج بالأسباب، فهو يأخذ من منهج الفلاسفة من غير جفاف أو تعقيد.

وبذلك يصل الخطابي إلى ما أراد من عرضه وتحليله للشواهد القرآنية السابقة من أنّ القرآن جاء معجزاً لأنه تضمن أفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني»[٢].

وينتهي الخطابي إلى أنّ «المعاني التي تحملها الألفاظ فالأمر في معاناتها أشد لأنها نتائج العقول وولائد الأفهام وبنات الأفكار.

وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان»[٣].

ويظهر الخطابي باتجاهه الأدبي بشكل بارز في رده على من يعيب وجود التكرار في القرآن الكريم، حيث يحرص على عرض الآيات القرآنية،وشرحها وبيان ما جاء فيها من التكرار والغاية منه، إضافة إلى استشهاده بأبيات من الشعر، وهذا هو حال الخطابي في النصف الثاني من رسالته التي يميل فيها إلى التطبيق والإكثار من الشواهد القرآنية، والأدبية ممثلة بأبيات من الشعر، وحتى تتضح

---

(١) «بيان إعجاز القرآن»: ص٣٧ - ٤٠.

(٢) المصدر السابق: ص١٠٥.

(٣) المصدر السابق: ص٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة بشكل أوفى أعرض لما جاء في رسالته في حديثه عن التكرار، إذ يقول:

«وأمّا ما عابوه من التكرار، فإنّ تكرار الكلام على ضربين: أحدهما مذموم، وهو ما كان مستغنى عنه غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول، لأنه حينئذ يكون فضلاً من القول ولغوا. وليس في القرآن شيء من هذا النوع.

والضرب الآخر ما كان يخالف هذه الصفة، فإن ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه، وتدعو الحاجة إليه فيه، بإزاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار، وإنما يحتاج إليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها، ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها. وقد يقول الرجل لصاحبه في الحث والتحريض على عجل عجل، وارم ارم، كما يكتب في الأمور المهمة على ظهور الكتب: مهم مهم مهم، ونحوها من الأمور وكقول الشاعر:

هلاّ سألتَ جموع كنـ ... دة يومَ ولّوا أين أيْنا

وقول الآخر:

يال بكر أنشروا لي كُليباً ... يال بكر أينَ أينَ الفرارُ

وقد أخبر الله عز وجل بالسبب الذي من أجله كرر الأقاصيص والأخبار في القرآن، فقال سبحانه: «ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون»[1] وقال تعالى: «وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً»[2].

وأما سورة الرحمن فإن الله سبحانه خاطب بها الثقلين من الإنس والجن، وعدد عليهم أنواع نعمه التي خلقها لهم، فكلما ذكر فصلاً من فصول النعم جدد

(١) سورة القصص: الآية ٥١. «بيان إعجاز القرآن»: ص٤٨.

(٢) سورة طه: الآية ١٣. «بيان إعجاز القرآن»: ص٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إقرارهم به واقتضاءهم الشكر عليه، وهي أنواع مختلفة وفنون شتى، كذلك هو في سورة «المرسلات» ذكر أحوال يوم القيامة وأهوالها فقدم الوعيد فيها وجدد القول عند ذكر كل حال من أحوالها لتكون أبلغ في القرآن وأوكد لإقامة الحجة والإعذار، ومواقع البلاغة معتبرة لمواضعها من الحاجة، فإن قيل: إذا كان المعنى في تكرير قوله:

«فبأي آلاء ربكما تكذبان»[١] تجديد ذكر النعم في هذه السورة واقتضاء الشكر عليها، فما معنى قوله: «يرسل عليكما شواظٌ من نار ونحاسٌ فلا تنتصران»[٢] ثم أتبعه قوله: «فبأي آلاء ربكما تكذبان»[٣].

«وأي موضع نعمة هاهنا؟ وهو إنما يتوعدهم بلهب السعير والدخان المستطير قيل: إنّ نعمة الله تعالى فيما أنذر به وحذر من عقوباته على معاصيه ليحذروها فيرتدعوا عنها بإزاء نعمه على ما وعد وبشر من ثوابه على طاعته ليرغبوا فيها ويحرصوا عليها، وإنما تحقق معرفة الشيء بأن يعتبر بضده ليوقف على حده.

والوعد والوعيد وإن تقابلا في ذواتهما فإنهما متوازيان في موضع النعم بالتوقيف على مآل أمرهما، والإبانة على مواقع مصيرهما، وعلى هذا ما قاله بعض حكماء الشعراء:

والحادثاتُ وإنْ أصابك بؤسها فهو الذي أنباك كيف نعيمها»[٤]

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٣٥. «بيان إعجاز القرآن»: ص٤٩.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٣٥. «بيان إعجاز القرآن»: ص٤٩.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٣٦. المصدر السابق: ص٤٩.

(٤) «بيان إعجاز القرآن»: ص٤٧ - ٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«ويعرض الخطابي قضايا نقدية حول القصيدة العربية، من ذكر تفاوت أساليبهم، والوحدة التي يرتبطها رابط والطبع الذي يكون وجهاً من وجوه الجمال في القصيدة العربية، والمعارضات وأصولها بطريقة موجزة والمماتنة»[١] حيث يعمد الخطابي إلى عرض النصوص والحكم عليها بذوق فني يوضح الصلة بين دراسات أسلوب القرآن ودراسات النقد الأدبي[٢]، ومن الأمثلة على ذلك تحليله لأبيات أمرئ القيس في وصف الليل وتفضيله إياها على أبيات النابغة الذبياني في ذات الموضوع، حيث يقول الخطابي: «وقد روى لنا أن الوليد بن عبد الملك وأخاه مسلمة تنازعا ذكر الليل وطوله، ففضل الوليد أبيات النابغة في وصف الليل، وفضل مسلمة أبيات أمرئ القيس، فحكما الشعبي بينهما، فقال الشعبي:

تنشد الأبيات وأسمع، فأنشد للنابغة:

كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكبِ

تطاول حتى قلت ليس بمنقض ... وليس الذي يرعى النجوم بآيب

بصدرٍ أراح الليل عازب همّه ... تضاعف فيه الحزن من كل جانبِ

ثم أنشد لامريء القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصُلبه ... وأردف أعجازاً ونآء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجل ... بصبحٍ وما الإصباح منك بأمثل

فيا لك من ليل كأنّ نجومه ... بكل مغار الفتل شدتْ بيذبلِ

قال: فركض الوليد برجله، فقال الشعبي: بانت القضية.

---

(١) «في إعجاز القرآن الكريم»: ص١١٣ - ١١٤.

(٢) انظر حاشية «بيان إعجاز القرآن»: ص٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلت: افتتاح النابغة قصيدته بقوله:

كليني لهم يا أميمة ناصب.

مُتَناهٍ في الحسن، بليغ في وصف ما شكاه، من همه وطول ليله، ويقال إنّه لم يبتدئ شاعر قصيدة بأحسن من هذا الكلام وقوله:

وصدر أراح الليلُ عازبَ همِّه

مستعار من إراحة الراعي الإبل إلى مباتها، وهو كلام مطبوع سهل يجمع البلاغة والعذوبة إلا أن في أبيات أمرئ القيس من ثقافة الصنعة وحسن التشبيه وإبداع المعاني ما ليس في أبيات النابغة، إذ جعل لليل صلباً وأعجازاً وكلكلاً، وشبه تراكم ظلمة الليل بموج البحر في تلاطمه عند ركوب بعضه بعضاً حالاً على حال.

وجعل النجوم كأنها مشدودة بحبال وثيقة فهي راكدة لا تزول ولا تبرح، ثم لم يقتصر على ما وصف من هذه الأمور حتى عللها بالبلوى ونبه فيها على المعنى، وجعل يتمنى تصرم الليل بعود الصبح لما يرجو فيه من الروح، ثم ارتجع ما أعطى واستدرك ما كان قدمه وأمضاه، فزعم أنّ البلوى أعظم من أن يكون لها في شيء من الأوقات كشف وانجلاء، والمحنة فيها أغلظ من أن يوجد لدائها في حال من الأحوال دواء وشفاء.

وهذه الأمور لا يتفق مجموعها في اليسير من الكلام إلا لمثله من المبرزين في الشعر الحائزين فيه قصب السبق، ولأجل ذلك كان يركض الوليد برجله إذ لم يتمالك أن يعترف له بفضله.

فبمثل هذه الأمور تعتبر معاني المعارضة فيقع بها الفضل بين الكلامين من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقديم لأحدهما أو تأخير أو تسوية بينهما »[١].

«واعتمد الخطابي على تفاوت الشاعرين إذا هما تنازعا معنى واحداً، وعلى تميز كل شاعر في ناحية كالأعشى والأخطل في وصف الخمر وذي الرمة في صفة الأطلال والدمنْ؛ إلا أنه استغل هذه المسألة لدحض المعارضة للقرآن وبيان قصورها »[٢].

فيقول: «قلت: وإذا أنت وقفت على شروط المعارضات ورسومها، وتبينت مذاهبها ووجوهها علمت أن القوم لم يصنعوا في معارضة القرآن شيئاً ولم يأتوا من أحكامها بشيء بتَّة، والإمر في ذلك بين واضح لا يخفى على ذي مسكة ذكي والحمد لله »[٣].

وبذلك يتضح أن «غاية الخطابي من هذه القضايا النقدية أن تكون في خدمة القرآن الكريم، لا التحدث عنها باعتبارها قضايا في البلاغة والنقد لذاتها »[٤].

وفي نهاية الرسالة تناول الخطابي جانباً آخر للإعجاز القرآني تمثل في صنيعه بالقلوب وأثره في النفوس، وكنا قد تناولنا الحديث في هذا الجانب في الفصل الأول من هذا البحث.

وبذلك نلاحظُ من خلال ما تقدم غلبة الاتجاه الأدبي عند الخطابي في تناوله للبيان القرآني، حيث اهتم بإيراده الشواهد القرآنية وتحليلها وتفسيرها على نحو يدل على مدى إدراكه للفروق اللغوية الدقيقة، وبصيرته في النقد القائمة على الذوق

---

(١) «بيان إعجاز القرآن» ص٥٦ - ٥٨.

(٢) «تاريخ النقد الأدبي عند العرب»: ص٣٣٦.

(٣) «بيان إعجاز القرآن» ص٦٠.

(٤) المصدر السابق: ص١١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفني الذي لا يرجع إلى أصول أو نظريات فلسفية.

ومع ذلك فقد تأثر الخطابي بروح المناطقة الذين يربطون النتائج بالأسباب، كما انتفع بمنهج الفلاسفة في عرضه قضاياه بتسلسل منطقي من غير جفاف أو صعوبة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثر الرحالتين في كتاب «الصناعتين»[١].

قبل أنْ نتبين أثر الرماني والخطابي في كتاب الصناعتين، نعرض بصورة موجزة لما جاء في كتاب أبي هلال العسكري، وذلك حتى نتلمّس أثره في تكوين الإطار البلاغي للقرن الرابع الهجري.

يشتمل كتاب «الصناعتين» على مقدمة ومجموعة فصول في فنون التعبير، حيث ضم كتابه عشرة أبواب مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلاً، وهذه الأبواب هي:

١- باب في البلاغة والفصاحة.

٢- باب في تمييز الكلام جيده ورديئه.

٣- باب في معرفة صنعة الكلام وترتيب الألفاظ.

٤- باب عن حسن النظم وجودة الرصف.

٥- باب في ذكر الإيجاز والإطناب.

٦- باب في حسن الأخذ وحلّ المنظوم.

٧- باب في التشبيه.

٨- باب في ذكر الأسجاع والازدواج.

٩- باب في شرح البديع.

١٠- باب في ذكر مبادئ الكلام ومقاطعه.

أمّا مقدّمة كتابه فقد أشاد فيها بعلم البلاغة وفضله، وبيّن حقيقته في التعلُّم والتحفُّظ، وذلك لأنّه العلم الذي يعرف به إعجاز القرآن، فيقول: «اعلم

---

(١) كتاب «الصناعتين»:- أبو هلال العسكري، المتوفى سنة (٣٩٥هـ)، انظر ترجمته:- «معجم الأدباء»:- ج٨، ص٢٢٣-٢٦٧، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»: ج٢، ص ٣٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-علّمك الله الخير، ودلّك عليه، وقيضه لك، وجعلك من أهله- أنّ أحق العلوم بالتعلّم وأولاها بالتحفُّظ -بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه- علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى... المدلول به صدق الرسالة وصحّة النبوّة»[١].

ويرى أبوهلال أنّ إغفال معرفة علم البلاغة يؤدي إلى عدم العلم بإعجاز القرآن الكريم من جهة الأسلوب، والتركيب، والبيان، فيقول:- «وقد علمنا أنّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حُسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف... إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها وتحيّرت عقولهم فيها..»[٢].

ثمّ يذكر بعد ذلك فضائل علم البلاغة، إذ إنّ صاحب العربية إذا أخلّ بطلبه لم يفرّق بين كلام جيد، وآخر رديء، وشعرٍ نادر، وآخر بارد، فيبين بذلك جهله ونقصه.

وينتقل بعدها لبيان أهمية هذا العلم بالنسبة للشاعر والخطيب، فيقول: «...وأيضاً إذا أراد أن يصنع قصيدة، أو ينشئ رسالة -وقد فاته هذا العلم- مزج الصّفو بالكدر، وخلط الغرر بالعرر، واستعمل الوحشي العكر، فجعل نفسه مهزأةً للجاهل، وعبرة للعاقل...

وإذا أراد أيضاً تصنيف كلام منثور، أو تأليف شعر منظوم وتخطّى هذا العلم ساء اختياره له، وقبحت آثاره فيه، فأخذ الردئ المرذول، وترك الجيّد المقبول، فدلّ

---

(١) كتاب «الصناعتين»: ص١.

(٢) المصدر السابق: ص١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على قصور فهمه، وتأخُّر معرفته وعلمه...»[١].

ويشير أبو هلال العسكري إلى أسباب تأليفه لكتابه، حيث يذكر كتاب البيان والتبيين للجاحظ ويثني عليه، غير أنّه لا يلبث أن يقول:-

«إنّ الإبانة عن حدود البلاغة. وأقسام البيان والفصاحة، مثبوتة في تضاعيفه، ومنتشرة في أثنائه، فهي ضالّة بين الأمثلة، لا توجدُ إلاّ بالتّأمُّل الطويل، والتصفُّح الكثير، فرأيتُ أنْ أعمل كتابي هذا مشتملاً على جميع ما يحتاج إليه في صنعة الكلام نثره ونظمه، ويستعمل في محلوله ومعقوده، من غير تقصير وإخلال وإسهاد وإهذار»[٢].

وبذلك يتبيّن أنّ الدوافع وراء تأليفه لهذا الكتاب كما يفهم من هذه الكلمة هي إدراكه لأهمية علم البلاغة وفضله كما ذكر في بداية مقدمة كتابه- وكذلك شعوره بالحاجة الماسّة إليه، وذلك لقلة الكتب المصنفة فيه، وبسبب عدم رضائه عن المنهج الذي سلكه الجاحظ في تأليفه لكتابه الأشهر في ذلك العصر، وهو كتاب «البيان والتبيين».

وفيما يلي عرض موجز للمباحث التي عالجها في كتابه:-

الباب الأوّل:

جعل أبو هلال العسكري الباب الأوّل في كتابه للحديث عن البلاغة والفصاحة، حيث جاء ذلك الباب في ثلاثة فصول، تناول فيها موضوع البلاغة في اللغة وتصرّف لفظها، وكذلك عن الفصاحة وما يتشعب منها، ثم التفريق بين

---

(١) كتاب «الصناعتين»: ص٢-٣.

(٢) المصدر السابق: ص٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصاحة والبلاغة[١].

ثمّ انتقل من ذلك إلى الإبانة عن حدّهما في اصطلاح البلاغيّين، وذلك بعد أنْ يذكر أقوال العلماء والحكماء من عرب وغير عرب في حدود البلاغة. فيقول:- «فحقيقة البلاغة هي ما ذكرته وقد جاء عن الحكماء فيه ضروبٌ أنا ذاكرها ومفسِّرها لتكتمل فائدة الكتاب..»[٢].

ثمّ يمضي بعد ذلك في ذكر أقوال الحكماء و العلماء في حدود البلاغة، وهو هنا يأخذ عن الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين» عند حديثه عن البلاغة ومفهومها، إلاّ أنّ أبا هلال عرض لأقوال الحكماء والعلماء بشيء من التفسير أو التعليق.

وقبل أن ننتقل إلى الباب الثاني، نذكر أنّ أبا هلال العسكري قد عرّف البلاغة على أنها: «كلُّ ما تبلّغ به المعنى قلب السامع فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرضٍ حسن»[٣].

وهو بذلك يرى أنّ البلاغة تشتمل على عنصرين اثنين هما: المعنى واللفظ، إضافة إلى ضرورة تأثيرهما في السامع.

أمّا الباب الثاني: فقد تناول فيه تمييز الكلام جيده من رديئة ونادره من بارده، وكذلك صفات الألفاظ والمعاني، وينتهي إلى أنّ أساس البلاغة يقوم على تحسين اللفظ، حيث يقول: «ومن الدليل على أنّ مدار البلاغة على تحسين اللفظ أنّ الخطب الرائعة، والأشعار الرائقة ما عُملت لإفهام المعاني فقط، لأنّ الرديء من

---

(١) كتاب «الصناعتين»: ص٩.

(٢) المصدر السابق: ص١٤.

(٣) المصدر السابق: ص١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الألفاظ يقوم مقام الجيدة منها في الإفهام، وإنّما يدلُّ حسنُ الكلام، وإحكام صنعته ورونق ألفاظه، وجودةُ مطالعه، وحسنُ مقاطعه، وبديعُ مباديه وغريب مبانيه على فضل قائله، وفهم منشئه، وأكثر هذه الأوصاف ترجع إلى الألفاظ دون المعاني»[١]، وأمّا الدليل الآخر الذي يسوقه على أنّ مدار البلاغة يقوم على تحسين اللفظ فيتمثل في أنّ الكلام إذا اتصف بالسهولة والسلاسة والعذوبة والحلاوة، وكان معناه وسطاً، دخل في جملة الجيّد، وجرى مع الرائع النادر[٢].

أمّا المعاني فقد قسمها إلى نوعين: نوع مبتكر يبتدعه صاحب الصناعة من غير اقتداء أو تأثر بغيره فيه، ونوع تأثر فيه الأديب بغيره ويشترط الإجادة فيهما كليهما[٣]. الأمر الذي جعله يحذر من الكذب والمحال والفاسد من المعاني، حيث ذكر أمثلة لهذه الأنواع، لإيضاح الفكرة التي جاء بها والقائمة على أصالة المبدع، وضرورة الإجابة في إبراز المعاني.

ويرى العسكري أنّ المعاني على أربعة وجوه[٤]:

١- منها ما هو مستقيم حسن، ومثال ذلك قولك: قد رأيت زيداً.

٢- منها ما هو مستقيم قبيح، ومثال ذلك قولك: قد زيداً رأيت، حيث قبح بالتقديم والتأخير.

---

(١) كتاب «الصناعتين»: ص٥٨.

(٢) انظر «كتاب الصناعتين»: ص٥٩.

(٣) يرى الدكتور محمد مندور في كتابه «النقد المنهجي عند العرب» أنّ العسكري يتبع المنهج التقريري في حديثه عن المعاني، حيث يعتمد على التعاريف والتقاسيم، ويأخذ عليه ذلك، أنظر:- النقد المنهجي عند العرب: د.محمد مندور. دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ٨٨، ص٣٢٣.

(٤) انظر كتاب «الصناعتين»: ص٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- ومنها ما هو مستقيم النظم، وهو كذبٌ، مثل قولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر.

٤- ومنها ما هو محال، ومثالها قولك: أتيتك أمس، وأتيتك غداً.

ثم يقول: «وكل محال فاسد، وليس كل فاسد محالاً،... والمحال ما لا يجوز كونه البتة، كقولك: الدنيا في بيضة..»[١].

أمّا الباب الثالث: فقد تحدث فيه عن معرفة صنعة الكلام، وترتيب الألفاظ، وما يجب استخدامه في الشعر والنثر من حيث التهيؤ النفسي لهذه العملية، ونراه هنا يستشهد بصحيفة بشر بن المعتمر، التي أشار إليها الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين»[٢] وقد قال فيها: «وقال بشر بن المعتمر:- خذ من نفسك ساعة لنشاطك، وفراغ بالك وإجابتها لك، فإنّ قلبك في تلك الساعة أكرمُ جوهراً، وأشرق حسناً... وإيّاك والتوعّر، فإن التوعّر يُسلمُكَ إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك، وَمَنْ أراغ معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً، فإنّ حقّ المعنى الشريف اللفظ الشريف..»[٣].

الباب الرابع:

وقد جعله في البيان عن حسن النظم وجودة الرصف والسّبك. وفيه يقسم الكلام المنظوم إلى ثلاثة أجناس: الرسائل، والخطب والشعر، وهي تحتاج حسن التأليف والتركيب.

ثم يبين فضيلة حسن التأليف وعاقبة خلافه فيقول:- «وحسن التأليف يزيد

---

(١) كتاب «الصناعتين»: ص٧٠.

(٢) انظر كتاب «البيان والتبيين»: الجاحظ، دار الكتب العلمية-بيروت، ص ٧٥.

(٣) انظر كتاب «الصناعتين»: ص١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعنى وضوحاً وشرحاً، ومع سوء التأليف ورداءة الرّصف والتركيب شعبة من التعمية»[١].

وسوء النظم يؤدي إلى المعاظلة. وهي ركوب ألفاظ الكلام بعضها على بعض، وتداخل أجزائه، ومثال ذلك قول ذي الرمة:[٢].

إذا جئته أعطاك عفواً ولم يكن ... على ماله حال الردى مثل سائلهْ
إلى ملك لا تنصف الساق نعله ... أجلْ لا وإن كانت طوالاً محامله.

وأمّا حسن الرصف فيؤدي إلى «أن يخرج الكلام مخرجاً يكون له فيه طلاوةٌ وماء، وربّما كان الكلام مستقيم الألفاظ، صحيح المعاني، ولا يكون له رونق ولا رواء...، والكلام إذا خرج في غير تكلّف وكد وشدّة تفكّر وتعمّلٍ كان سلساً سهلاً، وكان له ماء ورواء ورقراق، وعليه فرند[٣] لا يكون على غيره مما عسر بروزه واستكره خروجه ... ومن الكلام الصحيح المعنى واللفظ، القليل الحلاوة العديم الطلاوة قول الشاعر:

أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا ... ولا أراهم رضوا في العيش بالدُّون
فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما اسـ ... تغنى الملوك بدُنياهم عن الدِّين»[٤].

---

(١) كتاب «الصناعتين»: ص١٦١.
(٢) انظر المصدر السابق: ص١٦٢-١٦٣.
(٣) وشي السيف.
(٤) كتاب «الصناعتين»: ص١٧٠-١٧٢/ وقد بسط الكلام في تحليل هذا الباب الدكتور عبد القادر حسين في كتابه. «المختصر في تاريخ البلاغة» -دار الشروق- عمان، الطبعة الأولى ١٩٨٢م، ص١٠٨-١٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الخامس:

تحدث فيه عن الإيجاز والإطناب والمساواة[١]، فقسم الإيجاز إلى قصر وحذف، وتحدث عن الإطناب، وجعل بينه وبين الإيجاز المساواة.

الباب السادس:

وفيه تحدث عن حسن الأخذ وحلّ المنظوم، فيذهب إلى ما ذهب إليه الجرجاني في «وساطته» في حديثه عن السرقات الشعرية، حيث يرى أبو هلال أنّ اللاحقين لايستغنون عن المعاني التي استخدمها السابقون. ولكن يفترض بهم أن يكسوها ألفاظاً من عندهم، ويوردوها في غير حليتها الأولى، فبذلك يصبح المعنى من حقهم لا من حق من سبقهم إليه[٢].

وقد جعل العسكري المحلول من الشعر على أربعة أضرب، هي[٣]:

١- ضربٌ يكون بإدخال لفظةٍ بين ألفاظه.

٢- ضربٌ ينحلُّ بتأخير لفظةٍ منه وتقديم أخرى فيحسن محلوله ويستقيم.

٣- ضربٌ ينحلّ على هذا الوجه ولا يحسن ولا يستقيم.

٤- ضربٌ تكسو ما تحلّه من المعاني ألفاظاً من عندك، وهذا أرفع الدرجات.

ثم يأتي بأمثلة موضحة على كل نوع من الأنواع السابقة، ويتابع بعدها حديثه عن السرقات وخفيِّها.

ويتحدث في الفصل الثاني من نفس الباب عن قبح الأخذ والذي يكون بأخذ المعنى بلفظه من غير تحوير أو تبديل، أو أن يأخذ معنى فيخرجه في معرض

---

(١) انظر كتاب «الصناعتين: ص ١٧٣.

(٢) انظر كتاب «الصناعتين» ص ١٩٦.

(٣) انظركتاب «الصناعتين»: ص٢١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مستهجن، وقد عدّ ذلك قبحاً، لأنّ المعنى يحسن بلفظه وكسوته التي جاء بها، فيقول:- «وقبح الأخذ أن تعمد إلى المعنى فتتناوله بلفظه كلّه أو أكثره، أو تخرجه في معرض مستهجن، والمعنى إنّما يحسن بالكسوة... فما أخذ بلفظه ومعناه وادّعى آخذه -أو ادّعي له- أنّه لم يأخذه، ولكن وقع له كما وقع للأوّل، كما سئل أبو عمرو بن العلاء عن الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى. فقال: عقول رجال توافت على ألسنتها، وذلك قول طرفة:

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم يقولون: لا تهلك أسى وتجلّد.

وهو قول امرئ القيس:-

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم يقولون: لاتهلك أسى وتجمّل[1].

الباب السابع:

وقد خصصه للحديث عن التشبيه، حيث عرّفه وذكر أوجهه، وأساس التشبيه الجيد وعيوب التشبيه القبيح.

الباب الثامن:

وقد تناول فيه ذكر السجع والازدواج، وقد ضم إليها فواصل القرآن مخالفاً بذلك الرماني والباقلاني وغيرهما من المتكلمين، وبيّن أنّ السجع على وجوه،.. «فمنها أن يكون الجزآن متوازيين متعادلين، لا يزيد أحدهما على الآخر، مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه، وهو كقول الأعرابي: سنة جردت، وحال جَهِدَتْ، وأيد جمدت... ومنها أن تكون ألفاظ الجزأين المزدوجين مسجوعة، فيكون الكلام سجعاً في سجع، وهو مثل قول البصير: حتى عاد تعريضك تصريحاً، وتمريضك تصحيحاً. فالتعريض والتمريض سجع، والتصريح والتصحيح سجع آخر،

(١) كتاب «الصناعتين»: ص ٢٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو سجع في سجع»[١].

وذكر من عيوب الازدواج -متأثراً بقدامة- التجميع، «وهو أن تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثاني... ومن عيوبه التطويل، وهو أن تجيء بالجزء الأول طويلاً، فتحتاج إلى إطالة الثاني ضرورة»[٢].

الباب التاسع:

وقد جعله للحديث عن فنون البديع، وهي عنده خمسة وثلاثون فناً، وقد زاد فيها على سابقيه ستة فنون، حيث صرّح باسم ابن المعتز وقدامة في غير موضع، الأمر الذي يعزز تأثر أبي هلال العسكري بهما في هذا الباب. حيث يلتقي بابن المعتز في الفنون التالية:

الاستعارة، التطبيق، التجنيس، الكناية والتعريض، ردّ الأعجاز على الصدور، الالتفات، الإعتراض، الرجوع، تجاهل العارف، المذهب الكلامي، وهي عشرة مصطلحات فقط. بينما يلتقي مع قدامة في المصطلحات التالية:- المقابلة، صحة التقسيم، صحة التفسير، الإشارة، الأرداف والتوابع، الغلو، المبالغة، العكس والتبديل، الترصيع، الإيغال، التوشيح، التكميل التتميم. وهي اثنا عشر مصطلحاً تضاف إلى ابن المعتز السابقة فيبقى ثلاثة عشر مصطلحاً أو فناً، يقول إنّه وضع منها ستة، فتبقى هناك سبعة مصطلحات مجهولة النسبة، أمّا الستة التي وضعها فهي:

التشطير، والمجاورة، والتطريز، والمضاعف، والاستشهاد، والتلطف.

والسبعة المسبوقة هي:

المماثلة، والتذييل، والاستطراد، وجمع المؤتلف والمختلف، والسلب

(١) كتاب «الصناعتين»: ص٢٦٢-٢٦٣.

(٢) المصدر السابق «ص ٢٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والإيجاب والإستثناء، والعطف.

ويظهر أنّ أبا هلال جلب هذه المصطلحات السبعة من رسالة خاله أبي أحمد (ت٣٨٨هـ) في صناعة الشعر، فإننا نجد الباقلاني يذكرها جميعاً على هدي تلك الرسالة -ما عدا جمع المؤتلف والمختلف، وذكر في بعضها صراحة أنّه ينقل عن أبي أحمد مما يدل على أنّ أبا هلال نقلها جميعاً عن خاله، وقد ردّد اسمه مراراً في كتابه[١].

الباب العاشر:

وقد جعله في ذكر مبادئ الكلام ومقاطعه، وجودة القوافي، ودقة الخروج من النسيب إلى المديح وغيره[٢].

وبعد أن يذكر أمثلة على حسن الابتداءات وقبحها من أشعار الجاهلية وغيرها، ينتهي للحديث عن فضل الابتداء الحسن، يقول: «وإذا كان الابتداء حسناً بديعاً، ومليحاً رشيقاً، كان داعية إلى الاستماع لما يجئ بعده من الكلام، ولهذا المعنى يقول عز وجل: آلم، وحم.. فيقرع أسماعهم بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد، ليكون ذلك داعية لهم إلى الاستماع لما بعده واللّه أعلم بكتابه. ولهذا جعل أكثر الابتداءات بالحمدلله، لأنّ النفوس تتشوق للثناء على اللّه فهو داعية إلى الاستماع، وقال رسول اللّه -صلّى الله عليه وسلم-:- «كل كلام لم يبدأ فيه بحمد اللّه تعالى فهو أبتر....»[٣].

---

(١) يثبت الدكتور شوقي ضيف ذلك في كتابه «البلاغة تطور وتاريخ»: وذلك بعد عقده مقارنة بين تلك الفنون عند الباقلاني وعند أبي هلال/ للمتابعة انظر «البلاغة تطور وتاريخ» ص١٤٢ وما بعدها.

(٢) انظر كتاب «الصناعتين: ص٤٣١.

(٣) كتاب «الصناعتين»: ص٤٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الفصل الثاني من الباب نفسه يتحدث عن المقاطع والفصل والوصل، ويبيّن فيه أنّ من حسن المقطع جودة الفاصلة، ثم يجعلها على ثلاثة أضرب، فيقول: «ومن حسن المقطع جودة الفاصلة وحسن موقعها وتمكّنها في موضعها، وذلك على ثلاثة أضرب:- فضرب منها أن يضيّق على الشاعر موضع القافية، فيأتي بلفظ قصير قليل الحروف فيتمّم به البيت، كقول زهير:

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنّني عن علم ما في غدٍ عمِي

والضربِ الآخر: وهو أن يضيق به المكان أيضاً، ويعجز عن إيراد كلمة سالمةٍ تحتاج إلى إعراب ليستم بها البيت، فيأتي بكلمة معتلة لا تحتاج إلى الإعراب، فيتمّه به، مثل قول امرئ القيس:

بعثنا ربيا قبل ذاك مخملاً كذئب الغضا يمشي الضّراء ويتقي

وقول زهير:

صحا القلب من سلمى سنيناً ثمانيا على صيرِ أمرٍ ما يمرّ وما يحلو

والضرب الثالث: أن تكون الفاصلة لائقة بما تقدمها من ألفاظ الجزء من الرسالة أو البيت من الشعر، وتكون مستقرة في قرارها، ومتمكّنةً في موضعها، حتى لا يسدّها غيرها، وإن لم تكن قصيرة قليلة الحروف كقول أبي نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت له عن عدوّ في ثياب صديقِ.[1]

وفي الفصل الثالث من الباب نفسه يتحدث عن الخروج من النسيب إلى المدح وغيره، ذاكراً ما يتصل بذلك من الأبيات الشعرية[2].

---

(١) كتاب «الصناعتين»: ص٤٤٥-٤٤٩.

(٢) انظركتاب «الصناعتين»: ص٤٥٢ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي النهاية تجدر الإشارة إلى أنّ بعض الدارسين[٣] يُقلّل من قيمة كتاب «الصناعتين» وذلك لاعتباره إياه مجرد ناقل للبلاغة كما وردت عند بلاغيي ونقاد القرنين الثالث والرابع الهجريين، إلاّ أنّه من استعراضنا السابق تبين لنا أنّ العسكري وإن جمع في كتابه الآراء النقدية والبلاغية لنقاد وبلاغيي القرنين الثالث والرابع، فإنّه قد أضاف إليها، كما أنّه عمل في كتابه على ترسيخ الآراء النقدية التي وردت عند من سبقوه من البلاغيين والنقاد من أمثال القاضي الجرجاني والآمدي وغيرهم.

(٣) نذكر منهم الدكتور إحسان عباس في كتابه «تاريخ النقد الأدبي عند العرب».

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثر الرماني والخطابي[1] في كتاب الصناعتين:

يذكر أبو هلال العسكري في مقدمة كتابه أنّه اطّلع على كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ، فوجد أنّه لا يفي بمعرفة أبواب البيان والبلاغة، وذلك لأنها مبثوثة في تضاعيفه، فلا يتوصّل إليها إلا بعد جهد. لذا رأى أن يعمل كتابه ليشتمل على جميع ما يحتاج إليه في صنعة الكلام، فيقول: «...فرأيت أنْ أعمل كتابي هذا مشتملاً على جميع ما يحتاج إليه في صنعة الكلام: نثره ونظمه، ويستعمل في محلوله ومعقوده...»[2].

ثم يقرُّ في خاتمة كتابه أنّه استعار فيه من كتب السابقين له، وإنّه زاد أو اختصر فيما أخذه عنهم، حتى يرفع بذلك من قيمة كتابه وقدره..»فيقول: «وكل شيء استعرته من كتاب وضمنته إياه، فإني لم أخله من زيادة تبيين واختصار ألفاظ وغير ذلك مما يزيد في قيمته ويرفع من قدره»[3].

أمّا كتاب «النكت» للرماني فيعتبر أحد الكتب التي أخذ عنها أبو هلال العسكري في كتابه، حيث لا يكاد يخلو باب من أبواب كتاب الرماني من أثر في الصناعتين.

كما أفاد العسكري بصورة غير مباشرة مما ورد في كتاب الخطابي «بيان

---

(١) استعان أبو هلال العسكري في تأليفه لكتابه بجل ما كتبه سابقوه ممن عالجوا مثل موضوعه ومن هؤلاء: ابن سلاّم، وكتابه «طبقات الشعراء»، والجاحظ صاحب «البيان والتبيين» وقدامة صاحب «نقد الشعر» وابن المعتزصاحب «البديع» والآمدي صاحب «الموازنة» والقاضي الجرجاني صاحب «الوساطة» انظر مقدمة المحققين لكتاب «الصناعتين»/ وكتاب «تاريخ النقد الأدبي عند العرب»: ص٣٨-٣٤٩.

(٢) كتاب «الصناعتين»: ص٥.

(٣) المصدر السابق: ص٤٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إعجاز القرآن»، كما سيتبيّن لاحقاً.

البلاغة:

ففي الفصل الأول من الباب الأوّل يستكمل العسكري موضوعه الذي تناوله في مقدمة كتابه، وهو موضوع الفصاحة والبلاغة، حيث انتهى إلى أنّ البلاغة مختصّة بالمعاني، والفصاحة خاصّة بالألفاظ، ثم أراد العلماء للفظين تخصيصهما بذلك، فيقول: «..تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين، وذلك أنّ الفصاحة تمام آلة البيان، فهي مقصورة على اللفظ.

لأنّ الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى، والبلاغة إنّما هي إنهاء المعنى إلى القلب، فكأنّها مقصورة على المعنى.

ومن الدليل على أنّ الفصاحة تتضمن اللفظ، والبلاغة تتناول المعنى أنّ الببغاء يسمى فصيحاً، ولا يسمى بليغاً، إذ هو مقيمُ الحروف، وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه.

وقد يجوز مع هذا أنْ يسمّى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى، سهل اللفظ، جيد السَّبْك، غير مستكره فجّ، ولا متكلف وخِم، ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف[1]..»

وفي كلامه السابق تشابه واضح مع كلام الرماني في كتابه «النكت»، حيث يقول:

«وليست البلاغة إفهام المعنى، لأنّه قد يفهم المعنى متكلّمان أحدهما بليغ والآخرعيي، ولا تكون البلاغة أيضاً بتحقيق اللفظ على المعنى، لأنّه قد يحقق

---

(١) كتاب «الصناعتين»: ص٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ونافر متكلّف، وإنّما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في حسن صورة من اللفظ، فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصّة»[١]

فالعسكري يرى أنّ الكلام البليغ الفصيح يقوم على اللفظ والمعنى وحسن التركيب، والغاية في المعنى تأثيره في القلب، وهو في ذلك متأثر بالرماني في قوله: «إنّما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في حسن صورة من اللفظ»[٢]

كما أنّ كليهما يرى بأنّ البلاغة لا تكون بتحقيق اللفظ على المعنى ومثال ذلك عند العسكري، الببغاء الذي يقيم الحروف دون أن يكون هناك معنى تؤديه، ومثاله عند الرماني أنّ اللفظ قد يحقق على المعنى من غير بلاغة بل بتكلّف واستكراه.

وما جاء عند الرماني والعسكري في باب البلاغة وتعريفها شبيه بما ورد في رسالة «بيان إعجاز القرآن» للخطابي، وذلك عندما تحدث عن بلاغة القرآن، فقال: «فتفهّم الآن وأعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزاً لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصحّ المعاني...»[٣]

حيث اشتملت البلاغة عنده أيضاً على حسن اللفظ والمعنى، في أحسن نظوم التأليف والتركيب، كما أن الخطابي يرى بأنّ البلاغة تقوم على التأثير، وقد اتضح ذلك من خلال حديثه عن تأثير القرآن في النفوس كما بيّنا في الفصل الأول.

الإيجاز:

وفي باب الإيجازيأخذ أبو هلال العسكري بما جاء في رسالة «النكت»

---

(١) رسالة «النكت»: ص ٦٩.

(٢) رسالة «النكت»: ص٦٩.

(٣) «بيان إعجاز القرآن»: ص٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للرماني، من حيث تقسيم الإيجاز إلى قصر وحذف، إضافة إلى استعانته بشواهد الإيجاز الواردة عند الرماني[١]، ففي هذا الباب يقول أبو هلال العسكري: «الإيجاز مقصور البلاغة على الحقيقة، وما يتجاوز مقدار الحاجة فهو فضلٌ داخل في باب الهذر والخطل...، والإيجاز: القصر، والحذف، فالقصر تقليل اللفظ، وتكثير المعاني، وهو قول الله عز وجل: «ولكم في القصاص حياة»[٢].

فمن الملاحظ أنه تأثر بالرماني في تقسيمه الإيجاز إلى حذف وقصر، وكذلك أورد مثالاً على إيجاز القصر الآية السابقة، وهي ذاتها التي تناولها الرماني في باب الإيجاز[٣].

ويمضي العسكري في عرضه لهذا الباب على نفس الطريقة التي سار عليها الرماني، حيث ينتقل إلى بيان فضل وجمال الإيجاز في القرآن الكريم وتفوقه على كلام البشر، فيستعين في توضيحه ذلك على إيراده قول العرب: «القتل أنفى للقتل»[٤]، وهو الشاهد الذي استعان فيه الرماني توضيحه لنفس الموضوع، حيث يقول أبو هلال: «ويتبيّن فضل هذا الكلام إذا قرنته بما جاء عن العرب في معناه، وهو قولهم: «القتل أنقى للقتل، فصار لفظ القرآن فوق هذا القول لزيادته في الفائدة.، وهو إبانة العدل لذكر القصاص وإظهار الغرض المرغوب عنه فيه لذكر الحياة، واستدعاء الرغبة والرهبة لحكم الله به، ولإيجازه في العبارة، فإنّ الذي هو نظير قولهم: القتل أنقى للقتل» إنّما هو : «القصاص حياة»، وهذا أقل حروفاً من

---

(١) أنظر «النكت»: ص٧٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٧٩ / انظر كتاب «الصناعتين»: ص١٧٥

(٣) انظر«النكت»: ص ٧١.

(٤) انظر «النكت»: ص٧١/ انظر كتاب «الصناعتين»: ص١٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذاك، ولبُعده من الكلفة بالتكرير، وهو قولهم: «القتل أنفى للقتل»[١].

وبذلك ينتهي العسكري إلى الانتصار للقرآن الكريم في لفظه وأسلوبه فيقول: «ولفظ القرآن بريء من ذلك، وبحسن التأليف وشدّة التلاؤم المدرك بالحسّ، لأنّ الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة»[٢].

وكذلك فقد أخذ أبو هلال العسكري عن الرماني تقسيم إيجاز الحذف إلى نوعين:

أ- نوع من حذف المضاف.　　ب- نوع من حذف الأبجوبة.

فيقول في ذلك: «وأمّا الحذف فعلى وجوه منها: أن تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه، وتجعل الفعل له، كقول الله تعالى: «واسأل القرية»[٣]أي أهلها... ومنها أن يأتي الكلام على أنّ له جواباً فيحذف الجواب اختصاراً لعلم المخاطب، كقوله عز وجل «ولو أنّ قرآناً سيّرت به الجبال أو قطّعت به الأرض أو كُلِّمَ به الموتى بل لله الأمر جميعاً»[٤] أراد لكان هذا القرآن، فحذف...[٥].

إلاّ أنّ الرماني لا يصرح بالنوع الأول، وإنما يعرف ذلك من خلال الشواهد التي ساقها عليه، بينما يذكر النوع الثاني صراحة، فيقول: «فمن الحذف «واسأل القرية»[٦] ... ومنه حذف الأجوبة، وهو أبلغ من الذكر...،كقوله جلّ ثناؤه: «ولو أنّ

---

(١) كتاب «الصناعتين»: ص١٧٥.

(٢) المصدر السابق: ص١٧٥.

(٣) سورة يوسف: الآية ٨٢/ كتاب «الصناعتين»: ص ١٨١

(٤) سورة الرعد: الآية ٣١/ المصدر السابق: ص ١٨٢

(٥) المصدر السابق: ص١٨١-١٨٢.

(٦) سورة يوسف: الآية ٨٢/ انظر «النكت»: ص٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرآناً سيِّرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلّم به الموتى»[١].

كأنّه قيل: لكان هذا القرآن.. وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأنّ النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان»[٢].

وبذلك يتضح أنّ العسكري قد تأثّر بما ورد في رسالة الرماني في موضوع الإيجاز من حيث التقسيم والتحليل والشواهد، فكلاهما رأى أن إيجاز القرآن الكريم جمع مع إيجاز أطراف المعاني المحتملة في مقام الكلام، كما أنّ القرآن الكريم بعيد بإيجاز بعض آيات عن التكلف والتكرير، وتحميل الألفاظ ما لا تطيق.

كما توصل الرماني والعسكري إلى أنّ القرآن الكريم في إيجازه يقوم على حسن التأليف بين الألفاظ والحروف، فتخرج متناسبة متوافقة.

وقد تناول موضوع الإيجاز -أيضاً- الخطابي في رسالته، وذلك في ثنايا دفاعه عن أسلوب القرآن الكريم، فيقول«وأمّا ما عابوه من الحذف والاختصار في قوله سبحانه وتعالى «ولو أنّ قرآناً سيرت به الجبال أو قطّعت به الأرض أو كلّم به الموتى»[٣] فإنّ الإيجاز في موضعه. وحذف ما يستغنى عنه من الكلام نوع من أنواع البلاغة، وإنّما جاز حذف الجواب في ذلك وحسن، لأنّ المذكور منه يدلّ على المحذوف والمسكوت عنه من جوابه، ولأنّ المعقول من الخطاب عند أهل الفهم كالمنطوق به، والمعنى: ولو أنّ قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلّم

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣١/ المصدر السابق: ص٧٠

(٢) «النكت»: ص٧٠-٧١.

(٣) انظر «بيان إعجاز القرآن»: ص٤٧/ سورة الرعد: الآية ٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

به الموتى لكان هذا القرآن...»[١].

وبذلك يتضح أنّ تأثر العسكري في باب الإيجاز يكاد يكون مقصوراً على الرماني دون الخطابي، وذلك لإنه ورد موجزاً مقتضباً عند الخطابي، بينما ورد بصورة شاملة ومنفصلة عند الرماني، فكان تأثره بالرماني لزاماً أكثر من الخطّابي فيه.

التشبيه:

وفي باب التشبيه يذكر أبو هلال العسكري أوجه التشبيه، حيث جعلها على ثلاثة أوجه[٢]:

الوجه الأول: تشبيه شيئين متفقين من جهة اللون، مثل تشبيه الليلة بالليلة، والماء بالماء، والغراب بالغراب، والحرّة بالحرّة.

الوجه الثاني: تشبيه شيئين مختلفين، لجامع بينهما في المعنى، ومن أمثلة ذلك تشبيه البيان بالسّحر، حيث أنّهما يجتمعان في كراهية الحال وصعوبة الأمر.

الوجه الثالث: تشبيه شيئين متفقين يعرف اتفاقهما بدليل كتشبيه الجوهر بالجوهر.

وقد تأثر العسكري في ذلك بما ورد عند الرماني، حيث جعل الرماني التشبيه على وجهين فقال: «والتشبيه على وجهين: تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما، وتشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما مشترك بينهما، فالأول كتشبيه الجوهر بالجوهر، وتشبيه السواد بالسّواد، والثاني كتشبيه الشدة بالموت، والبيان بالسحر الحلال»[٣].

وبذلك يتضح التأثر البيّن للعسكري بالرماني وكأنّه ينقل عنه نقلاً.

---

(١) انظر «بيان إعجاز القرآن»: ص٤٧/ سورة الرعد: الآية ٣١.

(٢) انظر كتاب «الصناعتين»: ص٢٤٠.

(٣) «النكت»: ص٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمضي العسكري في الحديث عن أوجه التشبيه الذي يمتاز بجودته، فيجعله على أربعة أوجه، فيقول: وأجود التشبيه وأبلغه ما يقع على أربعة أوجه:

أحدها: إخراج ما لا تقع عليه الحاسّة إلى ما يقع عليه، وهو قول الله عز وجل:- «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الضمآن ماءً»[١].

فأخرج ما لا يحسّ إلى ما يحسّ، والمعنى الذي يجمعهما بطلان المتوهّم مع شدّة الحاجة وعظم الفاقة، ولو قال: يحسبه الرائي ماءً لم يقع موقع قوله «الظمآن»؛ لأنّ الظمآن أشدُّ فاقةً إليه، وأعظم حرصاً عليه...

والوجه الآخر: إخراج ما لم تجربه العادة إلى ما جرت به العادة، كقوله تعالى: «وإذا نتقنا الجبل فوقهم كأنّه ظُلَّةٌ»[٢] والمعنى الجامع بين المشبه والمشبه به والإنتفاع بالصورة.... ومنه قوله تعالى : «إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يومٍ نحسٍ مستمرّ، ينزع الناس كأنّهم أعجاز نخل منقعر»[٣]، فاجتمع الأمران في قلع الريح لهما وإهلاكهما، والتخوّف من تعجيل العقوبة..

والوجه الثالث:- إخراج ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها، فمن هذا قوله عز وجل:

«وجنّة عرضها السموات والأرض»[٤].

قد أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بها، والجامع بين الأمرين العظم، والفائدة فيه التشويق إلى الجنة بحسن الصّفة، ومثله قوله سبحانه: «كمثل الحمار

---

(١) سورة النور: الآية ٣٩/ انظر كتاب «الصناعتين»: ص٢٤٠

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧١/ انظر المصدر السابق: ص٢٤١.

(٣) سورة القمر: الآية ٢٠/ انظر المصدر السابق: ص٢٤١

(٤) سورة الحديد: الآية ٢١/ انظركتاب «الصناعتين»: ص٢٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحمل أسفاراً»[١].

والجامع بين الأمرين الجهل بالمحمول، والفائدة فيه الترغيب في تحفُّظ العلوم، وترك الإتّكال على الرواية دون الدراية...

والوجه الرابع: إخراج ما لا قوة له في الصّفة على ماله قوة فيها، كقوله عز وجل: «وله الجوار المنشآت في البحركالأعلام»[٢]، والجامع بين الأمرين العظم، والفائدة البيان عن القدرة في تسخير الأجسام العظام في أعظم ما يكون من الماء.

وعلى هذا الوجه تجري أكثر تشبيهات القرآن، وهي الغاية في الجودة، والنهاية في الحسن»[٣]

وعند النظر فيما كتبه الرماني عن التشبيه يلاحظ أنّ أبا هلال قد تأثر به كثيراً في الشرح والشواهد والتحليل، وكأنه ينقل عنه ثانية، إذ اتخذه المرجع الأساس في حديثه عن التشبيه وتحليل شواهده وأوجهه.[٤]

ويرى أبو هلال العسكري أنّ من مقاييس الجمال في التشبيه خروج الصورة إلى الحسّ، وهو المقياس الذي اعتمد عليه الرماني في بيان جمال التشبيه والإستعارة في القرآن الكريم، إلاّ أنّ أبا هلال لم يتناول الأثر النفسي كما فعل الرماني، بل اكتفى بالإفادة من ظاهر المقياس الذي اتخذه الرماني.

الاستعارة:

تناول أبو هلال العسكري موضوع الاستعارة في حديثه عن البديع، وقد تأثر

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٥/ انظر المصدر السابق: ص ٢٤١

(٢) سورة الرحمن: الآية ٢٤/ انظر المصدر السابق: ص٢٤٢

(٣) كتاب «الصناعتين»: ص ٢٤٠-٢٤٢.

(٤) لتبيّن مدى المطابقة بين ما ورد عند العسكري والرماني في باب التشبيه، أنظر «النكت» ص ٧٤ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيه بالرماني، حيث يأخذ عنه تعريف الاستعارة، فيقول:

«الاستعارة: نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إمّا أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه»[١].

أمّا الرماني فقد عرفها على أنّها: «تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على مهمة النقل للإبانة»[٢].

وقد اعتمد العسكري في هذا الباب اعتماداً كبيراً على الرماني في بيان جمال الاستعارة وبلاغتها، وتفوقها على الحقيقة.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ أبا هلال العسكري لم يأخذ بكل الشواهد القرآنية الواردة في كتاب الرماني في باب الاستعارة ولعل ذلك يرجع إلى أنّ أبا هلال عندما تحدث عن الاستعارة لم يتناولها في القرآن الكريم وحده كما فعل الرماني، بل تناولها أيضاً في كلام العرب، وكلام النبي والصحابة والأعراب، وفي أشعار المتقدمين، وكلام المحدثين، لذلك آثر ألاّ يأخذ كلّ ما ورد من الشواهد القرآنية عند الرماني، وإنّما اكتفى بالشواهد المحدّدة والموضحة للاستعارة في القرآن الكريم. حيث يقول أبو هلال:

«...فهذه جملة مما في كتاب الله عز وجل من الاستعارة، ولا وجه لاستقصاء جميعه، لأنّ الكتاب يخرج عن حدّه..»[٣].

يقول العسكري في فصل الاستعارة: «ولا بدّ لكل استعارة ومجاز من

---

(١) كتاب «الصناعتين»: ص ٢٦٨.

(٢) «النكت»: ص ٧٩.

(٣) كتاب «الصناعتين»: ص ٢٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حقيقة، وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة، كقول امرئ القيس:

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل.

والحقيقة مانع الأوابد من الذهاب والإفلات، والاستعارة أبلغ؛ لأنّ القيد من أعلى مراتب المنع عن التصرف، لأنك تشاهد ما في القيد من المنع، فلست تشك فيه... ولا بد أيضاً من معنى مشترك بين المستعار والمستعار منه، والمعنى المشترك بين قيد الأوابد ومانع الأوابد هو الحبسُ وعدم الإفلات»[١]

وقد ورد ذلك عند الرماني، حيث بيّن أنّ الاستعارة لا بد لها من حقيقة، فقال: «وكل استعارة فلا بد لها من حقيقة، وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة كقول امرئ القيس في صفة الفرس: «قيد الأوابد»، والحقيقة فيه: مانع الأوابد...»[٢].

إلاّ أنّ الرماني يستخدم في ربطه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي كلمة «الجامع» بينما يستخدم العسكري مصطلح: «المعنى المشترك»

ثم يذكر العسكري بعض ما جاء من شواهد الاستعارة في القرآن الكريم، ويحللها، ومن ذلك الآيات القرآنية التي يوردها للدلالة على أنّ الاستعارة أبلغ من الحقيقة، فيقول:- «والشاهد أيضاً على أنّ الاستعارة أبلغ من الحقيقة أنّ قوله تعالى:«إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية»[٣] حقيقته علا وطغى والاستعارة أبلغ لأن فيها دلالة القهر وذلك أن الطغيان علو منه غلبة وقهر وكذلك قوله تعالى

---

(١) كتاب «الصناعتين»: ص٢٧٠-٢٧١.

(٢) «النكت»: ص٧٩.

(٣) الآية ١١ من سورة الحاقة، انظر كتاب الصناعتين ص٢٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«بريحٍ صرصرٍ عاتية»[١] حقيقته شديدة والاستعارة أبلغ لأن العتوّ شدة فيها تمرد وقوله تعالى. «سمعوا لها شهيقاً وهي تفور تكاد تميّز من الغيظ»[٢] حقيقة الشهيق ها هنا الصوت الفظيع، وهما لفظتان، والشهيق لفظة واحدة، فهو أوجز على ما فيه من زيادة البيان. وتميّز حقيقته تنشق من غير تباين، والاستعارة أبلغ، لأن التمييز في الشيء هو أن يكون كلّ نوع منه مبايناً لغيره، وصائراً على حدّته، وهو أبلغ من الانشقاق؛ لأنّ الإنشقاق قد يحصل في الشيء من غير تباين، والغيظ حقيقة شدة الغليان، وإنّما ذكر الغيظ، لأنّ مقدار شدّته على النفس مدرك محسوس، ولأنّ الإنتقام منا يقع على قدره، ففيه بيانٌ عجيب وزجرٌ شديد لا تقوم مقامه الحقيقة البتة..»[٣].

وبذلك يتبيّن لنا أنّ أبا هلال اعتمد في كلامه عن الاستعارة في القرآن الكريم على كتاب «النكت» للرماني، حيث نقل عنه معظم الشواهد القرآنية، وتحليله لها، وهذا يعني أنّ العسكري ينقل في كتابه عن الرماني الفكرة أو المضمون.

وفيما يلي إحصاءٌ للشواهد القرآنية التي وردت عند الرماني في باب الاستعارة، ولم يذكرها العسكري في كتابه:

قال تعالى: «فأذاقها اللّه لباس الجوع والخوف»[٤] «وهذا مستعار، وحقيقته أجاعها اللّه وأخافها والاستعارة أبلغ لدلالتها على استمرار ذلك بهم كاستمرار

---

(١) سورة الحاقة، آية٦، انظر المصدر السابق ص٢٧١.

(٢) الآية ٨ من سورة الملك/ انظر المصدر السابق ص٢٧١..

(٣) كتاب «الصناعتين»: ص ٢٧١-٢٧٢.انظر تحليل الشواهد المتقدمة في «النكت» ص.٨

(٤) سورة النحل: الآية ١٢/ انظر «النكت»: ص٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لباس الجلد وما أشبهه، وإنما قيل ذاقوه، لأنّه كما يجد الذائق مرارة الشيء.

فَهم في الإستمرار كتلك الشدّة في المذاق»[١] وقال تعالى: «لايزال بنيانهم الذي بنوا ريبةً في قلوبهم»[٢]، وقال تعالى: «أفمن أسّس بنيانه على تقوى من اللّه ورضوان»[٣]، كل هذا مستعار، وأصل البنيان إنما هو للحيطان وما أشبهها.

وحقيقة اعتقادهم الذي عملوا عليه، والاستعارة أبلغ لما فيها من البيان بما يحس ويتصور، وجعل البنيان ريبة، وإنما هو ذو ريبة والاستعارة أبلغ، كما تقول: هو خبث كله، وذلك أبلغ من أن يجعله ممتزجاً، لأنّ قوة الذم للريبة، فجاء على البلاغة لا على الحذف الذي إنما يراد به الإيجاز في العبارة فقط... وقال تعالى: «أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس»[٤] أصل الحصيد للنبات، حقيقته مهلكة، والاستعارة أبلغ لما فيه من الإحالة على إدراك البصر، وقال عز وجل: «آلر، كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور»[٥] ... وقال تعالى: «حصيداً خامدين»[٦]... وقال عز وجل: «ألم تر أنّهم في كلّ واد يهيمون»[٧]... وقال تعالى: «وداعياً إلى اللّه بإذنه وسراجاً منيراً»[٨]...، وقال عز وجل: «يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا»[٩]... وقال تعالى: «وتركنا بعضهم يومئذ

---

(١) «النكت في إعجاز القرآن»: ص٨٣.
(٢) سورة التوبة: الآية ١١٠/ انظر «النكت»: ص ٨٤
(٣) سورة التوبة: الآية ١٩٠/ انظر «النكت» ص ٨٤
(٤) سورة يونس: الآية ٢٤/ انظر «النكت» ص٨٥
(٥) سورة إبراهيم: الآية١/ انظر «النكت» ص ٨٥
(٦) سورة الأنبياء: الآية ١٥/ انظر «النكت» ص٨٥
(٧) سورة الشعراء: الآية ٢٢٥/ انظر «النكت» ص٨٥
(٨) سورة الأحزاب: الآية ٤٦/ انظر «النكت» ص٨٥
(٩) سورة يس: الآية ٥٢/ انظر «النكت» ص٨٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يموج في بعض»[١] ....، وقال عز وجل: «ثم نكّسوا على رؤوسهم»[٢]....، وقال تعالى: «ولمّا سقط في أيديهم»[٣].

وأمّا الشاهد القرآني الوحيد الوارد عند أبي هلال العسكري ولم يذكره الرماني فهو قوله عز اسمه: «وإذا غربت تقرضهم ذات الشّمال»[٤]، ليس في جميع القرآن أبلغ ولا أفصح من هذا، وحقيقة القرض ها هنا أن الشمس تمسّهم وقتاً يسيراً ثم تغيب عنهم، والاستعارة أبلغ، لأن القرض أقل في اللفظ من كل ما يستعمل بدله من الألفاظ.

وهو دال على سرعة الارتجاع، والفائدة أنّ الشمس لو طاولتهم بحرّها لصهرتهم، وإنّما كانت تمسّهم قليلاً بقدر ما يصلح الهواءالذي هم فيه؛ لأن الشمس إذا لم تقع في مكان أصلاً فسد»[٥]

وقد تناول الخطابي موضوع الاستعارة بصورة موجزة في سياق دفاعه عن أسلوب القرآن الكريم، حيث يقول: «..وقد تكون الاستعارة في بعض المواضع أبلغ من الحقيقة كقوله عز وجل: «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار»[٦]، والسلخ ها هنا مستعار، وهو أبلغ منه لو قال نخرج منه النهار وإن كان هو الحقيقة، وكذلك قوله سبحانه: «فاصدع بما تؤمر»[٧] هو أبلغ من قوله: «فاعمل بما تؤمر» وإن كان

---

(١) انظر «النكت» ص٨٥ سورة الكهف: الآية ٦٥.

(٢) انظر «النكت» ص٨٦ سورة الأنبياء: الآية ٦٥.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٤٩/ انظر «النكت» ص٨٧

(٤) سورة الكهف: الآية ١٧/ انظر كتاب «الصناعتين»: ص ٢٧٥

(٥) كتاب «الصناعتين»: ص٢٧٥.

(٦) سورة يس الآية ٣٧.انظر «بيان إعجاز القرآن»: ص ٤٠.

(٧) سورة الحجر الآية ٩٤، انظر المصدر السابق ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو الحقيقة، والصدع مستعار، وإنما يكون ذلك في الزجاج ونحوه من فلق الأرض، ومعناه المبالغة فيما أمر به حتى يؤثّر في النفوس والقلوب تأثير الصدع في الزجاج ونحوه»[١]

وبذلك فإنّ أبا هلال العسكري قد جمع في كتابه ما طرقه البلاغيون قبله من موضوعات وآراء بلاغية ونقدية.

الفواصل:

يقول الرماني في باب الفواصل:- «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أنّ الفواصل تابعة للمعاني، وأمّا الأسجاع فالمعاني تابعة لها»[٢].

إلاّ أنّ أبا هلال العسكري لم يذهب إلى ما ذهب إليه الرماني في التفريق بين الفواصل والسجع، واعتبار السجع عيباً والفواصل بلاغة، حيث ردّ ذلك بقوله:

«وكذلك جميع ما في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعنى، وصفاء اللفظ، وتضمّن الطلاوة والماء لمايجري مجراه من كلام الخلق. ألا ترى قوله عز اسمه: «والعاديات ضبحاً فالموريات قدحاً فالمغيرات صبحاً فأثرن به نقعاً، فوسطْنَ به جمعاً»[٣] قد بان عن جميع أقسامهم الجارية هذا المجرى، من مثل قول الكاهن: والسماء والأرض، والقرض والفرض، والغمر والبرض. ومثل هذا من السجع مذمومٌ لما فيه من التكلّف والتعسّف.

ولهذا ما قاله النبي -صلّى اللّه عليه وسلّم- لرجلٍ قال له: أندي من لا

---

(١) «بيان إعجاز القرآن»: ص٤٠.

(٢) «النكت في إعجاز القرآن» ص ٤٠.

(٣) سورة العاديات: الآية ١-٤.انظر المصدر السابق ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شرب ولا أكل، ولا صاح، فاستهلّ، فمثل ذلك يُطَلّ: أسجعاً كسجع الكهان! لأنّ التكلف في سجعهم فاش، ولو كره عليه الصلاة والسلام لكونه سجعاً لقال: أسجعاً؛ ثم سكت، وكيف يذمه ويكرهه، وإذا سلم من التكلّف، وبريء من التعسّف لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه. وقد جرى عليه كثير من كلامه عليه السلام»[١]

وتناول هذا الموضوع الخطابي في رسالته، وقد اتفق فيها مع رأي الرماني بأنّ السجع يؤدي إلى أنْ تصبح المعاني تابعة له، فيقول: «والساجع عادته أن يجعل المعاني تابعة لسجعه ولا يبالي بما يتكلم به إذا استوت أساجيعه واطّرَدَتْ»[٢]

إلاّ أنني أرى أنّ الخطابي لا يقصد بحكمه السابق الإطلاق فيه، وإنما كان يخص بكلامه من يتكلف السجع في كلامه، حيث عرض -قبل أن يأتي بحكمه السابق -لأمثلة تُكلّفَ بها السجع، فجاءت المعاني تابعة للألفاظ ومن تلك الأمثلة«ما حكي عن مسيلمة من قوله:- «يا ضفدع نقي كم تنقين، لا الماء تكدرين ولا الوارد تنفرين». أما قول مسيلمة في الضفدع فمعلومٌ أنّه كلام خال من كل فائدة، لا لفظهٌ صحيح، ولا معناه مستقيم، ولا فيه شيء من الشرائط الثلاث التي هي أركان البلاغة، وإنما تكلف هذا الكلام الغث لأجل ما فيه من السجع»[٣].

---

(١) كتاب «الصناعتين»: ص ٢٦٠-٢٦١.

(٢) «بيان إعجاز القرآن»: ص ٥١ وما بعدها.

(٣) «بيان إعجاز القرآن»: ص ٥٠-٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"الخاتمة"

لقد حقّقت هذه الدراسة الأهداف التي قامت من أجلها حيث قدّمت صورة واضحة للإطار البلاغي في القرن الرابع الهجري، وذلك بمحاولتها استقصاء جهود البلاغيّين المبرّزين في ذلك العصر وبيان أثرهم في بلورة الإطار البلاغي لذلك القرن.

ففي ذلك القرن تمّ التوصل إلى تعريف مانعٍ جامع للبلاغة عند قدامة بن جعفر في كتابه (نقد النثر)، فعرّفها «بأنّها القول المحيط بالمعنى المقصود، مع اختيار الكلام، وحسن النظام، وفصاحة اللسان»[١].

كما بيّنت هذه الدراسة المنهج الذي اعتمده قدامة في كتابيه، وهو المنهج الفلسفي النقدي، حيث تأثر في منهجه بمنهج أرسطو، ومن ثم قدّمت هذه الدراسة تحليلاً لمحتويات كتابيه المشهورين في البلاغة والنقد.

أمّا ما يتعلق بالآمدي وكتابه (الموازنة)، فقد أومأت هذه الدراسة إلى العناصر البلاغية التي اتخذها الآمدي أساساً لنقده أو موازنته النقدية ومدى نجاحه في استخدامها، فالألفاظ في ميزانه عنصر أساسي في التقدير، وقد نظر إليها بمنظار البلاغيّين، وقاسها بمقاييسهم، من حيث استيفاؤهم لكل نعوت الحسن التي هي عند البلاغيين، ولهذا فقد عدّ من سوء النظم، التعقيد اللفظي واستعمال الوحشي من الألفاظ، والمعاظلة.

وقد بيّنت هذه الدراسة في فصلها الأول تأثر الرماني بكتابي (نقد الشعر ونقد النثر) لقدامة بن جعفر، حيث أخذ عنه تعريف البلاغة في أنّها: «إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ» إلاّ أنّه أومأ في تعريفه السابق إلى

---

(١) نقد النثر: ص٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأثر النفسي للبلاغة، ومن جانب آخر أشار إلى الصورة البيانية للبلاغة من حيث اللفظ والصياغة أو النَّظم.

فكلاهما يؤكد على الأسلوب وحسن الصياغة أو النظم، إلاّ أنّ الرماني زاد عليه «إيصال المعنى إلى القلب». وهو الجانب الذي أبرزه الخطابي من بعد، كجانب للإعجاز القرآني، مما يؤكد على وجود علاقة وثيقة بين المصنفات البلاغية التي وضعت في ذلك العصر.

وقد قسّم الرماني الإيجاز إلى إيجاز قصر. وإيجاز حذف وغيرها من التقسيمات، كما وضع للإيجاز أكثر من تعريف، وبذلك صوّر الرماني الإيجاز تصويراً نهائياً بحيث لم يضف إليه البلاغيّون التّالون شيئاً وبذلك فإن الرمّاني في حديثه عن البلاغة أضاف إضافات جديدة إلى من سبقوه، فقد حدّدَ بعض فنونها تحديداً نهائياً كالإيجاز، ورسم لها أقسامها رسماً دقيقاً.

وأمّا الخطابي في رسالته (بيان إعجاز القرآن)، فقد بينت هذه الدراسة أنّ ما جاء في رسالته من موضوعات بلاغية لم تكن مقصودة لذاتها بل لأنه يعتبر البلاغة وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني لذلك فقد اعتمد على إيراد الشواهد القرآنية وتحليلها دون الاكتراث بإيجاد تقسيمات للفنون البلاغية التي يقوم بتحليل شواهدها.

إلاّ أنّ دراسته تعتبر مصدراً أفادت منه المصنفات البلاغية التي وضعت بعد من قريب أو بعيد كما تبيّن في الفصل الثالث من الدراسة.

وقد اتّضح أثر القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني في بلورة الإطار البلاغي للقرن الرابع الهجري من خلال كتابه (الوساطة) الذي قام على أسس نقدية بلاغية، حيث تناول فيه فنون البلاغة وعرض لشواهدها وعمد إلى تحليلها ونقدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما تومئ هذه الدراسة إلى نقاط الالتقاء والاختلاف بين القاضي الجرجاني في وساطته والآمدي في موازنته، فأسفرت عن علاقة وثيقة بينهما من حيث أوجه الشبه والاختلاف وبخاصة في موضوع السرقات الشعريّة.

وفي الفصل الثاني فصلت القول في الطريقتين أو المدرستين اللتين أثرتا في المباحث البلاغية، وقد توصّلتْ إلى ما يلي:

- أكثر الرماني من التقسيمات في عرضه للفنون البلاغية في رسالته، وقد ظهر ذلك واضحاً في حديثه عن الإيجاز، وكذلك في حديثه عن التلاؤم.
- تأثر الرماني في رسالته بالفكر المعتزلي، يبدو ذلك واضحاً في حديثه عن التلاؤم وتنافر الحروف، إذ يُرجع التنافر إلى الناحية المعنوية ويستشهد على ذلك بما ذكره الخليل بن أحمد (ت١٨٣هـ) من البعد الشديد أو القرب الشديد، ثم يصل إلى النتيجة التي يريدها بأنّ التلاؤم يكون في التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد.

وهذه نظرية المعتزلة في قولهم: المنزلة بين المنزلتين، واختيار أواسط الأمور.

- تبرز ثقافة الرماني الاعتزالية في باب التصريف حيث يظهر وجهاً من ثقافته الاعتزالية في الاحتجاج من الناحية الرياضية.

والخلاصة أنّ الرمّاني في كل بابٍ من أبواب رسالته يبدأ بتعريف الباب، ثم يحدّد مجاله، ومن ثم يكثر من الشواهد القرآنية وخاصة في باب التشبيه، فهو يمزج بين طريقتي المتكلمين والأدباء، إلاّ أنه لم يسرف في استخدام أسلوب المناطقة لدرجة استغلاق معانيه واقتضاب عباراته إذ كان يعرف ما يمكن أن يفيد منه من أسلوب وطرائق المناطق والفلاسفة في دراسته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اهتمّ المتكلمون من أمثال الرماني بدراسة البيان القرآني واتخذوه أساساً لدراسة لإعجاز القرآني. والردّ على منكريه أو المتشككين فيه.

- سار الخطابي على نفس الطريقة التي سار عليها الرماني في تقسيمه للكلام إلى ثلاث مراتب، غير أنّه خالفه في ذهابه إلى أنّ بلاغة القرآن أخذت حصة من كلّ نوع من الأنواع الثلاثة.
- اهتم الخطابي في رسالته بعرض الشواهد القرآنية وتحليلها أكثر من اهتمامه بالإكثار من التقسيمات والفروع، وهو بذلك يختلف في اتجاهه عن الرماني، لذلك بيّنت هذه الدراسة بأنّه قد غلب على الخطّابي الجانب الأدبي، أو الطريقة الأدبية في تناوله للبيان القرآني، معتمداً على الذوق الفني الذي لا يرجع إلى أصول أو نظريات فلسفيّة.
- تأثر الخطابي بروح المناطق من حيث ربطه النتائج بالأسباب، وعرضه للقضايا بأسلوب متسلسل منطقي من غير جفاف أو صعوبة.

وفي الفصل الثالث قامت الدراسة بالكشف عن الحقائق التالية:

- ساهم أبو هلال العسكري في بلورة الإطار البلاغي للقرن الرابع الهجري بطريقة غير مباشرة، وذلك لما جمعه في كتابه من المصنفات البلاغية التي وضعت في القرن الرابع الهجري من قضايا بلاغية.
- تأثر أبو هلال العسكري برسالة الرماني في موضوعات كثيرة من الموضوعات التي طرقها في كتابه، حيث تشابه كلام العسكري في حديثه عن البلاغة وتعريفها بما أورده الرماني في رسالته من أنّ البلاغة مختصة بالمعاني، والفصاحة مختصة بالألفاظ، وشبيه ذلك أيضاً ما جاء في رسالة (بيان إعجاز القرآن) للخطابي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في باب الإيجاز يأخذ العسكري بما ورد في رسالة الرماني من حيث تقسيمه الإيجاز إلى قصر وحذف، إضافة إلى استعانته بشواهد الإيجاز الواردة عند الرماني، وكذلك أخذ العسكري عن الرماني تقسيم إيجاز الحذف إلى نوعين:

- نوع من حذف المضاف.
- نوع من حذف الأجوبة.

وهذا يعني تأثر العسكري بما ورد في رسالة الرماني في موضوع الإيجاز من حيث التقسيم والتحليل والشواهد.

- لخصت هذه الدراسة آراء الرماني وأبي هلال في موضوع الإيجاز، وبيّنت تأثّر العسكري بما ورد في رسالة الخطابي في باب الإيجاز بطريقة غير مباشرة، وذلك من خلال تناول الخطابي لذلك الموضوع في ثنايا ردّه، ودفاعه عن أسلوب القرآن.

إلاّ أنّ تأثر العسكري بالرماني في ذلك الباب كان أكثر من تأثره بالخطابي، وذلك لأنّه جاء موجزاً مقتضباً عند الخطابي، بينما ورد بصورة شاملة ومفصّلة عند الرماني فكان تأثره بالرماني لِزاماً أكثر من الخطابي في ذلك الموضوع.

- تأثر العسكري بالرماني في باب التشبيه في الشرح والتحليل والشواهد، وكأنّه ينقل عن كتاب الرمّاني نقلاً، إذ اتخذه العسكري مصدره الأساسي في حديثه عن ذلك الموضوع.

٦- نقل العسكري عن الرماني في باب الاستعارة معظم الشواهد القرآنية وتحليله لها. وهذا يتفق مع ما قدّمنا إليه في الفصل الثالث من أنّ العسكري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ينقل عن الرماني الفكرة أو المضمون.

٧- تناول الخطابي موضوع الاستعارة في رسالته بصورة مقتضبة وموجزة وذلك في سياق دفاعه عن أسلوب القرآن الكريم.

- اتفق الخطابي مع الرماني في أنّ السجع يؤدي إلى أنْ تصبح المعاني تابعة له، فيقول: «والساجع عادته أن يجعل المعاني تابعة لسجعه ولا يبالي بما يتكلم به إذا استوت أساجيعه واطردت» والخطابي -كما أرى- يقصد بحكمه السابق من يتكلّف السجع في كلامه، ويتضح ذلك من خلال تكلُّف السجع في الأمثلة التي يسوقها الخطابي قبل إيراده ذلك الحكم.
- تأثُّر أبي هلال العسكري بما جاء في رسالة الرمّاني كان أوضح من تأثره برسالة الخطابي، وذلك لما بيّناه سابقاً من أنّ الخطابي لم يهتم بدراسة البلاغة في رسالته إلاّ باعتبارها وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني، لذلك لم يقصدها لذاتها في رسالته.

تلك هي خلاصة ما قامت به هذه الدراسة وانتهت إليه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت
المصادر والمراجع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الآمدي: الحسن بن بِشْر «ت٣٧٠هـ»، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الرابعة، دار المعارف، مصر، «بدون تاريخ».

ابن خلكان: أحمد بن محمد بن أبي بكر «ت٦٨١هـ»، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢م.

ابن عماد الحنبلي: أبوالفلاح عبد الحيّ «ت١٠٨٩هـ»، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٩م.

ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم «ت٢٧٦هـ»، عيون الأخبار، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، مصر، ١٩٢٨م.

ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر «ت٧٧٤هـ»، البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق الدكتور أحمد أبو ملحم، والدكتور علي نجيب، والأستاذ فؤاد السيّد، والأستاذ مهدي ناصر، والأستاذ علي عبد الساتر، الطبعة الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

أبو حيّان التوحيدي: علي بن محمد «ت٤١٤هـ»، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣م.

أبو هلال العسكري: الحسن بن عبدالله بن سهل «ت٣٩٥هـ»، كتاب «الصناعتين» الكتابة والشعر» تحقيق علي محمد البجّاوي، ومحمد أبو الفضل،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م.

إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق، عمان، ١٩٩٣م.

أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، ١٩٨٣م.

أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، الطبعة الأولى، دار المعرفة ١٩٦١م.

الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيّب «ت٤٠٣هـ»، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، «بدون تاريخ».

بدوي طبانة: البيان العربي، الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٦٨م.

البغدادي الخطيب: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت «ت٤٦٣» هـ، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، «بدون تاريخ».

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر «ت٢٥٥هـ»، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون. الطبقة الثالية، مكتبة الخانجي، مصر، «بدون تاريخ».

الجرجاني: القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز «ت٣٩٢هـ»، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل، وعلي محمد البجّاوي، المكتبة العصرية، بيروت، «بدون تاريخ».

الخطّابي: أبو سليمان حمد بن محمد «ت٣٨٨هـ»، بيان إعجاز القرآن، ضمن «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن»، تحقيق محمد خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلاّم. دار المعارف، مصر ١٩٦٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذهبي: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان «ت٧٤٨هـ»، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩١م.

الرازي: فخر الدين محمد بن عمر «ت٦٠٦هـ»، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق الدكتور براهيم السامرائي، والدكتور محمد بركات أبو علي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٥م.

الرمّاني: أبو الحسن علي بن عيسى «ت٣٨٦هـ»، النكت في إعجاز القرآن، ضمن« ثلاث رسائل في إعجاز القرآن»، تحقيق محمد خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلاّم، دار المعارف، مصر ١٩٦٨م.

السبكي: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي «ت٧٧١هـ»، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتّاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطّنَاجي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤م.

سعدأبو الرضا: البلاغة العربية بين القيمة والمعياريّة، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، الطبعة السادسة، دار المعارف، القاهرة، «بدون تاريخ».

عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.

عبد العزيز عتيق: تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠م.

عبد القادر حسين: المختصر في تاريخ البلاغة، الطبعة الأولى، دار الشروق، عمان، ١٩٨٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قدامة بن جعفر: أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي «ت٣٣٧هـ»، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦٣م.

قدامة بن جعفر: أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي «ت٣٣٧هـ»، نقد النثر تقديم طه حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م.

القزويني الخطيب: محمد بن عبد الرحمن الخطيب «ت٧٣٩هـ»، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح الدكتور محمد عبد المنعم الخفاجي، الطبعة الثانية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، «بدون تاريخ».

محمد بركات حمدي أبو علي: في إعجاز القرآن الكريم، الطبعة الأولى، مؤسسة الخافقية ومكتبتها، محمد مفيد بن عزة الخيمي، ١٩٨٣م.

محمد حسن شرشر،: دراسات بلاغيّة في القرآن والحديث، الطبعة الأولى، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٧م.

محمد زغلول سلاّم: أثر القرآن في تطور النقد العربي، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٩٦١م.

محمد زغلول سلاّم: تاريخ النقد العربي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م.

محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر، القاهرة، «بدون تاريخ».

المرزباني: أبو عبيدالله محمد بن عمران «ت٥٨٤هـ»، الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء، الطبعة الثانية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٥هـ.

ياقوت الحموي: أبو عبدالله ياقوت الحموي «ت ٦٢٦هـ»، معجم الأدباء «إرشاد الأريب في معرفة الأديب»، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي. ١٩٩٣م.

٤٤٦٥٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص باللغة الانجليزية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

The Eloquence of the Holy Kora'n In The Writings Of Al-Rummani and Al-Kattabi

By
Osama Hussain Mahmoud Brekeh

Supervised by:
Prof. Dr. Mohamad Barakat Hamdi Abu Ali.

The purpose of this study is to achieve two aims: The first, submitting the method of eloquence of the Holy Kora'n in the writing of AL-Rummani and AL-Kattabi. The second, explaining the effects and influences of these two explorers in "The Sina'tein" book by Abi Hilal AL-A'skari

The plan of this study depended on the integrative methodology which enabled me to utilize from various methodologies. This study consisted of an introduction and three chapters.

In the first chapter, I explained the eloquence frame in the fourth century of Hijra through groups of eminent men by whom visible effects have been forming the eloquence frame of that century.

The second chapter showed the directions of eloquence of the Holy Qura'n in the messages of Rummani and Kattabi, and it talked about both methods which influenced the eloquence of researches which were: Speakers method and literate men method. Then it explained the effects of both messages in those methods through the exploration of examples and explained instances of that influence.

The third chapter concentrated on explaining the influence of each explorer, Rummani and AL-Kattabi in "Al-Sina'tain" book. I started talking about the effects of "AL-Sina'tain" book in crystallizing the eloquence frame in the fourth century of Hijra. Then, I explained the effects of both the Rummani and Kattabi in "AL-Sina'tain" book, attained to that. Rummani influenced more clearly than Kattabi's influence, because he particularized the speaking in eloquence of his message other than the message of Kattabi who discussed the eloquence in his message as a manifestation of the Holy Kora'n inimitably which was not intentioned for itself.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit